# جهاد النبيين

# وسيد المرسلين ﷺ

## ١

## أشجع الفرسان، وأقواهم قلبًا، وأثبتهم جنانًا..

## رجل الرجال، وبطل الأبطال..

## قائد السادات وسيد القادات

# رسول اللَّه ﷺ

## أشجع الفرسان، وأقواهم قلبًا، وأثبتهم جنانًا..

## رجل الرجال، وبطل الأبطال..

## قائد السادات وسيد القادات

## سيدنا رسول اللَّه ﷺ

قال - تعالى -: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾

لما كان الجِهَادُ ذِروةَ سَنَامِ الإسلام وقُبَّتَهُ، ومنازِلُ أهله أعلى المنازل في الجنة، كما لهم الرفعةُ في الدنيا، فهم الأَعْلَوْنَ في الدُّنْيَا والآخِرَةِ، كان رسولُ اللهِ - صلى اللَّه عليه وسلم - في الذروة العُليا منه، واسْتولى على أنواعه كُلِّها؛ فجاهد في اللهِ حقَّ جهاده بالقلب، والجَنَان، والدَّعوة، والبيان، والسيفِ، والسِّنَانِ، وكانت ساعاته موقوفةً على الجهاد، بقلبه، ولسانه، ويده؛ ولهذا كان أرفعَ العَالَمِينَ ذِكْرًا، وأعظمَهُمْ عند اللهِ قدرًا.

وأمره اللَّه - تعالى - بالجهاد مِن حينَ بعثه، وقال: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [الفرقان: ٥٢]، فهذه سورة مكية أمر فيها بجهاد الكفار، بالحُجة، والبيان، وتبليغِ القرآن، وكذلكَ جهادُ المنافقين، إنما هو بتبليغ الحُجَّة، وإلا فهم تحت قهر أهلِ الإسلام؛ قال - تعالى -: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ [التوبة: ٧٣].

فجهادُ المنافقين أصعب مِن جهاد الكفار، وهو جهادُ خواصِّ الأمة وورثةِ الرُّسل، والقائمون به أفرادٌ في العالم، والمشارِكُون فيه والمعاونون عليه - وإن كانوا هُم الأقلين

عددًا ـ فهم الأعظمون عند اللَّه قدرًا.

ولما كان مِن أفضل الجهاد قولُ الحقِّ مع شدة الْمُعَارِضِ؛ مثلَ أن تتكلم به عند من تُخاف سَطوتَهُ وأذاهُ، كان لِلرسلِ ـ صلواتُ اللهِ عليهم وسلامُهُ ـ مِن ذلك الحظُّ الأوفرُ، وكان لنبينا ـ صلواتُ اللَّه وسلامُهُ عليه ـ من ذلك أكملُ الجهاد وأتمُّهُ.

وأكملُ الخَلْقِ عند اللهِ مَن كَمَّلَ مراتِبَ الجِهَادِ كُلَّهَا، والخلقُ متفاوتونَ في منازلهم عند اللَّه تفاوتهم في مراتب الجهاد؛ ولهذا كان أكملَ الخلق وأكرمَهُمْ على اللهِ خاتمُ أنبيائهِ ورُسُلِهِ؛ فإنه كَمَّلَ مراتبَ الجهاد، وجاهد في اللَّه حقَّ جهاده، وشرع في الجهاد من حِينَ بُعِثَ إلى أن تَوَفَّاهُ اللَّه عَزَّوَجَلَّ؛ فإنَّه لما نزل عليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾﴾ [المدثر: ١ ـ ٤]، شَمَّرَ عن ساق الدعوة، وقام في ذات اللَّه أَتمَّ قيام، ودعا إلى اللَّه ليلًا ونهارًا، وسرًّا وجهارًا، وَلَمَّا نزل عليه: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤] فصدع بأمر اللَّه لا تأخذه فيه لومةُ لائمٍ، فدعا إلى اللهِ الصغيرَ والكبيرَ، والحرَّ والعبدَ، والذكرَ والأنثى، والأحمرَ والأسودَ، والجنَّ والإنسَ.

ولما صَدَعَ بأمرِ الله، وَصَرَّحَ لقومه بالدَّعوة، وناداهم بِسَبِّ آلهتهم[1]، وَعَيْبِ

---

(١) لم يكن رسول الله ﷺ سبابًا، ولا شَتَّامًا، ولا فَحَاشًا؛ وإنما كان ينفي عن آلهة المشركين ما كانوا يتوهمونه لها من صفات لا تليق إلا بالله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ، ويصفها بما وصفها الله به في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾، وقوله: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾﴾، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾﴾، وقوله: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾، وغير ذلك مما أنزله الله عليه في تعرية آلهتهم المزعومة مما كانوا يعتقدونه فيها.

دينهم، اشتد أذاهم له وَلِمَنِ استجاب له من أصحابه، ونالوه ونالوهم بأنواع الأذى، وهذهِ سُنَّةُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ في خلقه؛ كما قال ـ تعالى ـ: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ [فصلت: ٤٣]

وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢]

وقال: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الذاريات: ٥٢، ٥٣].

فَعَزَّى اللَّه ـ سُبْحَانَهُ ـ نبيَّهُ بذلك، وأن له أُسوةً بمن تقدَّمه من المرسلين، وَعَزَّى أتباعه بقوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة: ٢١٤]

وقوله: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾﴾ [العنكبوت: ١ ـ ٧].

كان رسول اللَّه ﷺ أشجع الناس، وأقواهم قلبًا، وأثبتهم جَنانًا، وقد حضر المواقف الصعبة المشهورة، وفرّ الكماةُ والأبطال عنه غير مرة، وهو ثابت لا يبرح، ومُقبل لا يدبر ولا يتزحزح. وهو نبي الملاحم، بأبي هو وأمي ـ صلوات ربي وسلامه عليه ـ مَن جعل رزقه تحت ظل رمحه.

عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«بُعثت بين يدي الساعة بالسيف، حتى يعبد اللَّه ـ تَعَالَى ـ وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذُّلُّ**[١] **والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم»**[٢].

فكسبه أفضل الكسب، وظل رمحه ممدود إلى أبد الآباد. والمقصود بذكر الرمح الراية، فعادة العرب جرت بجعل الرايات في أطراف الرمح، فلما كان ظل الرمح أسبغ كان نسبة الرزق إليه أليق.

بأبي وأمي من قال: **«أنا المقفى، ونبي التوبة، ونبي المرجمة ـ أو الرحمة ـ، ونبي الملحمة ـ أو الملاحم»**[٣].

وقال ﷺ: **«أنا محمد، وأحمد، والمقفى، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة.**

---

(١) في رواية البخاري: «وجُعل الذلة والصغار على من خالف أمري»، والمقصود بذلك ذل الجزية.

(٢) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، وأبو يعلى، والطبراني في «المعجم الكبير»، وابن أبي شيبة، وعبد بن حُميد، والبيهقي في «الشعب». قال الهيثمي: فيه عبدالرحمن بن ثابت عن ثوبان، وثقة ابن المديني وأبو حاتم، وضعفه أحمد وغيره، وبقية رجاله ثقات، وذكره البخاري في «الصحيح» في الجهاد تعليقًا، باب ما قيل في الرماح، وقال الحافظ في «الفتح» (٦/١١٦): «وله شاهد مرسل بإسناد حسن أخرجه ابن أبي شيبة من طريق الأوزاعي عن سعيد بن جبلة عن النبي ﷺ بتمامه. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢٨٣١)، وفي «إرواء الغليل» رقم (١٢٦٩).

(٣) صحيح: رواه أحمد ومسلم عن أبي موسى، وزاد الطبراني في «المعجم الكبير»: ونبي الملحمة. ورواه أحمد عن حذيفة، وقد خرجه أحمد عن حذيفة بلفظ: «ونبي الملاحم»، قال الزين العراقي: وإسناده صحيح.

ورواه بزيادة: «نبي الملحمة» الطيالسي، وأحمد، وابن سعد، والطحاوي، والطبراني في «المعجم الصغير»، والحاكم في «المستدرك». وصححه السيوطي «الجامع الصغير»، والألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٤٧٣).

**[ونبي الملحمة]»**.

ونبي الملحمة: «أي: نبي الحرب. وسمي به؛ لحرصه على الجهاد، ووجه كونه نبي الرحمة ونبي الحرب أن اللَّه بعثه لهداية الخلق إلى الحق وأيَّده بمعجزات، فمن أبى عُذِّب بالقتال والاستئصال، فهو نبي الملحمة التي بسببها عمت الرحمة وثبتت المرحمة»[(١)].

وقال رسول اللَّه ﷺ: «**والذي نفسي بيده، لولا أن رجالًا من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني، ولا أجد ما أحملهم عليه، ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله، والذي نفسي بيده، لوددت أني أقتل في سبيل اللَّه ثم أحيا، ثم أُقتل ثم أحيا، ثم أقتل ثم أحيا، ثم أُقتل**»[(٢)].

وقال رسول اللَّه ﷺ: «**ما من الناس من نفس مسلمة يقبضها ربها، تحب أن ترجع إليكم، وأن لها الدنيا وما فيها غير الشهداء، ولأن أُقتل في سبيل اللَّه أحب إلى من أن يكون لي أهل الوبر والمدر**[(٣)]»[(٤)].

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان النبي ﷺ أحسن الناس، وأشجع الناس، وأجود الناس. ولقد فزع أهل المدينة، فكان النبي ﷺ سبقهم على فرس، وقال: وجدناه بحرا[(٥)]»[(٦)].

وفي الصحيحين عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان رسول اللَّه ﷺ أحسن الناس، وكان أجود الناس، وكان أشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق ناس قبل

---

(١) فيض القدير، للمناوي (٣/٤٥).

(٢) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، والنسائي عن أبي هريرة.

(٣) أهل البوادي والمدن والقرى والأمصار.

(٤) حسن: رواه أحمد في «مسنده» والنسائي عن عبدالرحمن بن أبي عميرة. وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٦٨٤)، و«الترغيب» (٢/١٩٠).

(٥) وجدناه بحرا: أي: وجدنا الفرس سريع الجري لا يجارى، وذلك من بركة النبي ﷺ؛ لكونه ركب فرس أبي طلحة وكان قطفًا؛ أي: بطيئًا ضيق المشي. انظر: البخاري حديث (٢٨٦٧).

(٦) رواه البخاري (٢٨٢٠) واللفظ له، ومسلم.

الصوت فتلقاهم رسول اللّه ﷺ راجعًا وقد سبقهم إلى الصوت، وهو على فرس لأبي طلحة عُرْي، وفي عنقه السيف، وهو يقول: «**لم ترُاعوا... لم تراعوا**»[١].

وفي لفظ للبخاري: قال: «فزع الناس، فركب رسول اللّه ﷺ فرسًا لأبي طلحة قطفًا، ثم خرج يركض وحده، فركب الناس يركضون خلفه، فقال: «**لم تُراعوا؛ إنه لبحر**». قال: فما سُبق بعد ذلك اليوم.

وعن جبير بن مطعم أنه بينما هو يسير مع رسول اللّه ﷺ ومعه الناس مقفلة من حنين، فعلقت الناس يسألونه حتى اضطروه إلى سَمُرة فخطفتْ رداءه، فوقف النبي ﷺ فقال: «**أعطوني ردائي، لو كان لي عدد هذه العِضاه نَعَمًا لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلًا، ولا كذوبًا، ولا جبانًا**»[٢].

وعن أنس رضي الله عنه «**استقبلهم النبي ﷺ على فرس عُرْي**[٣] **ما عليه سَرْج، في عُنقه سيف**»[٤].

قال ابن حجر في «**الفتح**» (٦/٨٢): «وفيه ما كان عليه النبي ﷺ من التواضع والفروسية البالغة، فإن الركوب المذكور لا يفعله إلا من أحكم الركوب وأدمن على الفروسية».

وعن جندب بن سفيان رضي الله عنه أن رسول اللّه ﷺ كان في بعض المشاهد قد دميت إصبعُه فقال:

**هـل أنـت إلا إصبـع دَمِـيتِ ... وفي سبيل اللّه ما لقيت**»[٥]

---

(١) رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه.

(٢) رواه البخاري في كتاب الجهاد، باب الشجاعة في الحرب، والجبن، «الفتح» (٦/٤٢) حديث (٢٨٢١).

(٣) عري: أي: ليس عليه سرج ولا أداة، ولا يُقال في الآدميين، إنما يُقال: عريان. قاله ابن فارس.

(٤) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب ركوب الفرس العُرْيَ «الفتح» (٦/٨٢) حديث (٢٨٦٦).

(٥) رواه البخاري في كتاب الجهاد، باب من يُنكبُ في سبيل الله (٢٨٠٢)، وفي «الأدب» باب «ما يجوز من الشعر»، بلفظ: «نُكبت أصبعه».

وعن علي رضي الله عنه قال: «كنا إذا احمرَّ البأس ولقي القومُ القومَ اتقينا برسول اللّه ﷺ فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه»[١] وعند أحمد: «فما يكون منا أحد أدنى إلى القوم منه».

وعن البراء بْنِ عَازِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَجُلًا سَأَلَهُ فَقَالَ: أَكُنْتُمْ وَلَّيْتُمْ يَوْمَ حُنَيْنٍ يَا أَبَا عُمَارَةَ؟ فَقَالَ: أَشْهَدُ عَلَى نَبِيِّ اللهِ ﷺ مَا وَلَّى. وَلَكِنَّهُ انْطَلَقَ أَخِفَّاءُ مِنَ النَّاسِ وَحُسَّرٌ إِلَى هَذَا الْحَيِّ مِنْ هَوَازِنَ، وَهُمْ قَوْمٌ رُمَاةٌ، فَرَمَوْهُمْ بِرِشْقٍ مِنْ نَبْلٍ؛ كَأَنَّهَا رِجْلٌ[٢] مِنْ جَرَادٍ فَانْكَشَفُوا. فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ يَقُودُ بِهِ بَغْلَتَهُ. فَنَزَلَ وَدَعَا وَاسْتَنْصَرَ وَهُوَ يَقُولُ: «**أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ، اللَّهُمَّ نَزِّلْ نَصْرَكَ**». قَالَ الْبَرَاءُ: كُنَّا وَاللهِ، إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ نَتَّقِي بِهِ، وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا لَلَّذِي يُحَاذِي بِهِ - يَعْنِي: النَّبِيَّ ﷺ»[٣].

وعن عمران بن الحُصينْ قال: «ما لقي النبي ﷺ كتيبة إلا كان أول من يضرب»[٤].

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أنه سُئِل عن جُرْح رسول اللّه ﷺ يوم أحد فقال: أما والله، إني لأعرف مَن كان يغسل جُرح رسول اللّه ﷺ، ومن كان يسكب الماء، وبما دُووِي، قال: كانت فاطمة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - بنت رسول اللّه ﷺ تغسله، وعليٌّ يسكب الماء بالمِجن[٥]. فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة، أخذت قطعة من حصير، فأحرقتها وألصقتها، فاستمسك الدم، وكُسِرت رباعيته يومئذ، وجُرح

(١) حسن لغيره: رواه أحمد في «مسنده» (١/١٥٦)، والبغوي في «شرح السنة» (١٣/٢٥٧)، وأبو الشيخ الأصبهاني في «أخلاق النبي وآدابه» (١٠٤)، واللفظ له، وقال د. صالح الونيّان محقق الكتاب: «يرتقي إلى الحسن بشواهده».

(٢) رِجْل: أي: قطعة وجماعة.

(٣) رواه مسلم (١٧٧٦)، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين (٣/١٤٠١).

(٤) رواه أبو الشيخ في «أخلاق النبي وآدابه» (١٠٩)، وهو حسن بشواهده.

(٥) المجن: الترس الذي يواري حامله أثناء القتال.

وجهه، وكُسِرت البيضة[١] على رأسه»[٢].

ولما رآه أبيّ بن خلف يوم أحد وهو يقول: أين محمد؟ لا نجوتُ إن نجا. وقد كان يقول للنبي ﷺ: عندي فرس، أعلفها كل يوم فرقًا من ذرة، أقتلك عليها. فقال له النبي ﷺ: «**أنا أقتلك إن شاء الله**»، فلما رآه يوم أُحد شد أبي فرسه على رسول الله ﷺ، فاعترضه رجال من المسلمين، فقال النبي ﷺ هكذا؛ أيْ: خلوا طريقه، وتناول الحربة من الحارث بن الصِّمَّة، فانتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعراء[٣] عن ظهر البعير إذا انتفض، ثم استقبله النبي ﷺ وطعنه في عنقه طعنة تدأدأ[٤] عنها عن فرسه مرارًا، وقيل: بل كسر ضلعًا من أضلاعه، فرجع إلى قريش، يقول: قتلني محمد. وهم يقولون: لا بأس. فقال: لو كان ما بي بجميع الناس، لقتلهم، أليس قد قال: أنا أقتلك، والله، لو بصق علي لقتلني. فمات ـ لعنه الله ـ بسرف في قفولهم إلى مكة.

ولله در أحمد محرم إذ يقول عن أُبي بن كعب ومقتله:

**دلفوا إليه، وظن أكذبُهم مُنًى ... أن قدْ سَقَتْهُ يداه كأس حِمَامِهِ**
**أكذاك ينخدِعُ الغبيُّ وهكذا ... يتخبطُ المفتون في أوهامه؟**
**مهلًا أبيُّ لقد ركبتَ عظيمةً ... وأردتَ صرحًا لست من هُدَّامِهِ**
**صرحٌ بناه اللَّه أوَّلَ ما بنى ... وأطال من عِرْنينه وسنامِهِ**
**لا يبلغُ الباني ذراهُ، ولا يُرى ... في الداعمين بناؤه كدِعامِهِ**
**أقدم فخذها طعنةً من باسلٍ ... يغتالُ عزم الليث في إقدامِهِ**
**تلك المنية يا أبيُّ سُقِيتَها ... فانظر إلى الساقي وروعة جامِهِ**[٥]

(١) البيضة: الخوذة من المعدن يلبسها المقاتل.
(٢) رواه البخاري (٤٠٧٥)، واللفظ له، ومسلم (١٧٩٠).
(٣) الشُّعْر: بضم الشين وسكون العين: جمْع شعراء، وهي ذِبَّان حُمْر، وقيل: زُرق تقع على الإبل والحمير فتؤذيها أذى شديدًا.
(٤) دَأدَأ، وتدأدأ: تدحرج وسقط.
(٥) جامِه: كأسه.

خدش كوقعِ الظُّفْر، أو هو دونَهُ لِمَ تشتكي وتضجُّ من آلامِهِ؟
أأُبيُّ أين العودُ والعلفُ الذي أعددتَهُ، وجعلتَهُ لطعامِهِ؟
اذهب لك الويلاتُ من متمرِّدٍ عادى الإلهَ، ولجَّ في آثامه[١]

وعَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ﷺ قَالَ: شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ فَلَزِمْتُ أَنَا وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَلَمْ نُفَارِقْهُ. وَرَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ بَيْضَاءَ أَهْدَاهَا لَهُ فَرْوَةُ بنُ نُفَاثَةَ الْجُذَامِيُّ. فَلَمَّا الْتَقَى الْمُسْلِمُون وَالْكُفَّارُ وَلَّى الْمُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ، فَطَفِقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ قِبَلَ الْكُفَّارِ. قَالَ عَبَّاسٌ: وَأَنَا آخِذٌ بِلِجَامِ بَغْلَةِ رَسُولِ اللَّه ﷺ أَكُفُّهَا إِرَادَةَ أَنْ لَا يُسْرِعَ، وَأَبُو سُفْيَانَ آخِذٌ بِرِكَابِ رَسُولِ اللَّه ﷺ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «**أَيْ عَبَّاسُ، نَادِ أَصْحَابَ السَّمُرَةِ**»[٢].

فَقَالَ عَبَّاسٌ -: (وَكَانَ رَجُلًا صَيِّتًا) -: فَقُلْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي: أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمُرَةِ؟ قَالَ: فَوَاللهِ، لَكَأَنَّ عَطْفَتَهُمْ حِينَ سَمِعُوا صَوْتِي عَطْفَةُ الْبَقَرِ عَلَى أَوْلادِهَا. فَقَالُوا: يَا لَبَّيْكَ يَا لَبَّيْكَ. قَالَ: فَاقْتَتَلُوا وَالْكُفَّارَ. وَالدَّعْوَةُ فِي الأَنْصَارِ يَقُولُونَ: يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ. قَالَ: ثُمَّ قُصِرَتِ الدَّعْوَةُ عَلَى بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، فَقَالُوا: يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ كَالْمُتَطَاوِلِ عَلَيْهَا إِلَى قِتَالِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَذَا حِينَ حَمِيَ الْوَطِيسُ**»[٣] قَالَ: ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَصَيَاتٍ فَرَمَى بِهِنَّ وُجُوهَ الْكُفَّارِ. ثُمَّ قَالَ: «**انْهَزَمُوا، وَرَبِّ مُحَمَّدٍ**». قَالَ: فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ فَإِذَا الْقِتَالُ عَلَى هَيْئَتِهِ فِيمَا أَرَى. قَالَ: فَوَاللهِ، مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَمَاهُمْ بِحَصَيَاتِهِ. فَمَا زِلْتُ أَرَى حَدَّهُمْ كَلِيلًا وَأَمْرَهُمْ مُدْبِرًا[٤].

---

(١) ديوان مجد الإسلام، لأحمد محرم، ص (١٥٢، ١٥٣) مكتبة الفلاح.

(٢) السمرة: هي الشجرة التي بايعوا تحتها بيعة الرضوان، ناداهم يا أصحاب السمرة.

(٣) هذا حين حمي الوطيس: قيل: الوطيس هو التنور المسجور، وهذه اللفظة من فصيح الكلام وبديعه الذي لم يُسمع من أحد قبل النبي ﷺ.

(٤) رواه مسلم (١٧٧٥).

ولله در أحمد محرم حين يقول:

يا مولَعًا بالحرب، يستقصي المَدَى ... في وصفها منه البيان المُسْهَبُ
سلْ بغلَةً حملتْ رسول اللّٰه هل ... حمدتْ فوارِسَها العتاقُ الشُّزَّبُ؟[١]
طاروا عليها مدبرين، ولم يَطِرْ ... ومَضَوْا فلولًا، وَهْوَ راسٍ يرقُبُ
بطل يرى موج المنايا حولَهُ ... فعزيمة تطفو، وقلبٌ يَرْسُبُ
تجري ظنون القوم في حركاتِه ... فيفوتُ غاية من يَظُنُّ ويحسَبُ
كل امرئٍ يأتي الأمور عظيمةً ... فإليه في الدنيا العريضة يُنسَبُ
ما العبقرية في مراتبها العُلَى ... هو في سماء العبقرية كوكبُ
متألِّقٌ، مَنْ لم يَسِرْ في نوره ... أودَى الظلام به وطاح الغيهبُ[٢]

عن بريدة رضي الله عنه قال: «غزا رسول اللّٰه ﷺ تسع عشرة غزوة قاتل في ثمان منهن»[٣].

وغزواته كلها وبعوثه وسراياه كانت بعد الهجرة في مدة عشر سنين، فالغزوات سبع وعشرون[٤]، وقيل خمس وعشرون، وقيل: تسع وعشرون، وقيل غير ذلك، قاتل منها في تسع: بدر، وأحدٍ، والخندق، وقريظة، والمصطلق، وخيبر، والفتح، وحنينْ، والطائف، وقيل: قاتل في بني النضير، والغابة، ووادي القُرى من أعمال خيبر.

وأما سراياه وبعوثه، فقريب من ستين[٥]، والغزوات الكبار الأمهات سبع: بدر،

(١) الشُّزَّب: جمع شازب، وهو الضامِر.
(٢) أودى: أَهْلَكَ، والغيهب: الظلمة.
(٣) رواه مسلم (١٨١٤).
(٤) قال اللواء الركن محمود شيت خطاب في كتابه «قادة النبي ﷺ» ص (٥٩٠): «بمقارنة تعداد الغزوات وتوقيتها في المراجع المعتمدة للسيرة النبوية المطهرة، والمغازي، والتاريخ، وإحصاء الغزوات التي قادها النبي ﷺ بنفسه، وجدتُ أن عدد الغزوات التي قادها بنفسه هي ثمان وعشرون غزوة، ويبدو أن قسمًا من المصادر أغفلت غزوة من الغزوات سهوًا، وقسمًا منها أغفلت أكثر من غزوة واحدة».
(٥) كانت سراياه التي بعث بها سبعًا وأربعين سرية. انظر: «طبقات ابن سعد» (٦/٢)، «وعيون الأثر» (٢٢٣/١-٢٢٢)، «وقادة النبي» (٥٩٠).

وأحد، والخندق، وخيبر، والفتح، وحنين، وتبوك.

وفي شأن هذه الغزوات نزل القرآن، فسورة الأنفال سورة بدر، وفي أحد آخر سورة آل عمران من قوله: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ [آل عمران: ١٢١] إلى قُبيل آخرها بيسير، وفي قصة الخندق، وقريظة، وخيبر صدر «سورة الأحزاب»، وسورة الحشر في بني النضير، وفي قصة الحديبية وخيبر سورة «الفتح» وأشير فيها إلى الفتح، وذُكِر الفتح صريحًا في سورة «النصر»، وجُرِح منها ﷺ في غزوة واحدة وهي أُحد، وقاتلت معه الملائكة منها في بدر وحنين. ونزلت الملائكة يوم الخندق، فزلزلت المشركين وهزمتهم، ورمى فيها الحصباء في وجوه المشركين فهربوا، وكان الفتح في غزوتين، وقاتل بالمنجنيق منها في غزوة واحدة وهي الطائف، وتحصَّن في الخندق في واحدة، وهي الأحزاب أشار به عليه سلمان الفارسي رضي الله عنه(١).

## ❑ سِلَاحُهُ:

كان لنبي الملاحم ﷺ تسعة أسياف:

مأثور، والعضْب، وذو الفِقار، بكسر الفاء وفتحها، وكان لا يكاد يفارقه، والقلعي، والبتار، والحتف، والرَّسوب، والمِخْذَم، والقضيب، وكان سيفه ذوالفقار تنفَّله يوم بدر، وهو الذي أُرِي فيها الرؤيا.

وكان له سبعة أدرع:

ذات الفضول وكانت من حديد، وذات الوِشاح، وذات الحواشي، والسعدية، وفضة، والبتراء، والخِرْنِق.

وكانت له ست قِسي: الزوراء والروحاء، والصفراء، والبيضاء، والكتوم، كُسِرت يوم أحد، فأخذها قتادة بن النعمان، والسداد.

---

(١) زاد المعاد، لابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب وعبدالقادر الأرناؤوط (١/١٢٩-١٣٠) مؤسسة الرسالة.

وكان له ترس يقال له: الزَّلوق، وتُرس يُقال له: الفُتَقَ، وترس أبيض يسمى الموجز.

وكانت له خمسة أرماح، يُقال لأحدهم: المُثْوِي، والآخر: المُثْني، وحرْبة يقال لها: النبْعة، وأخرى كبيرة تُدعى: البيضاء، وأخرى صغيرة شبه العكاز يقال لها: العَنَزَة يمشي بها بين يديه في الأعياد، تركز أمامه، فيتخذها سترة يُصلي إليها، وكان يمشي بها أحيانًا.

وكان له مِغْفَر من حديد يقال له: الموشَّح، ومِغفر آخر يُقَال له: السبوغ، أو: ذو السبوغ.

وكان له ثلاث جباب يلبسها في الحرب.

وكان له راية سوداء يقال لها: العُقَاب.

وفي سنن أبي داود عن رجل من الصحابة قال: رأيت راية رسول اللَّه ﷺ صفراء، وكانت له ألوية بيضاء، وربما جعل فيها الأسود.

وكانت له كنانة تُسمى: الجمع، وكان له مِحجن يُسمَّى: الدقن. وكان له فرس أدهم يسمى: السَّكْب. وكان له سرج يسمَّى: الداج.

ومن خيوله سبعة متفق عليها، جمعها الإمام محمد بن إسحاق بن جماعة الشافعي في بيت فقال:

والخيلُ سَكْب لُحَيْفٌ سَبْحَةٌ ظَربٌ لِزَازُ مُرتَجَزٌ وَرْد لها اسرارُ

وقيل: كانت له أفراس أخر خمسة عشر، ولكن مختلف فيها، وكان دفتا سرجه من ليف.

**❑ وانظر إلى شجاعة النبي ﷺ وتوكله على ربه.**

عن جابر بن عبداللَّه ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ أنه غزا مع النبي ﷺ فأدركتهم القائلة في واد كثير العِضَاه، فتفرّق الناس في العِضاه يستظلُّون بالشجر، فنزل النبي ﷺ تحت

شجرة فعلق بها سيفه ثم نام، فاستيقظ وعنده رجل وهو لا يشعر به، فقال النبي ﷺ: إنَّ هذا اخترط سيفي فقال: فمَن يمنعك؟ قلتُ: الله. فشام السيف، فها هو ذا جالسٌ. ثم لم يعاقبه[1].

## ❑ القائد الذي ليس له مثيل رسول اللَّه ﷺ:

لقد أيد اللَّه نبيه ﷺ وثبت قدمه ونصره على أعدائه بالملائكة المنزلة، ولكن الخوارق وحدها لم تكن أداة النصر والعامل الذي غلب به الرسول ﷺ، والذين يذهبون إلى هذا يسلبونه قوته قائدًا. ثم كيف يحتذي المسلمون سيرته، ويتبعون في الحروب نهجه وسنته، إذا لم يكن لفنه الحربي الأصيل، ومواهبه العسكرية النادر الأثر العظيم في ظفره ونصره؟ إن الخوارق كانت إيذانًا للنبي ﷺ بأن اللَّه معه لا يتخلى عنه، حتى يشحذ همَّته ويثير عزيمته، وينبهه بكل ما فيه من حواس اليقظة والحذر إلى أعدائه المحاربين.

ونحاول في هذه الأسطر البسيطة أن نبرز للعيان سمات قيادة الرسول ﷺ[2] التي يمكن أن تكون أسوة حسنة في الحروب لأتباعه.

لقد عمل الرسول ﷺ بكل مبادئ الحرب المعروفة، بالإضافة إلى مزاياه الشخصية الأخرى في القيادة، لهذا انتصر على أعدائه. ولم يغفل الرسول ﷺ شيئًا من الحذر والحيطة والاستعداد.

لماذا كان إذا أراد غزوة ورَّى بغيرها؟ ولماذا كان يأخذ بمبدإ «**الحرب خدعة**»؟ ما تردد قبل معركة بدر، وهو يرى المشركين متفوقين على أصحابه في العدد

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه»، كتاب الجهاد والسير، باب تفرق الناس عن الإمام عند القائلة والاستظلال بالشجر، حديث (٢٩١٣).
فشام السيف: رده في غمِده. يُقال: شام السيف إذا سلَّه وإذا أغمده؛ فهو من الأضداد، والمراد ـ هنا ـ: غمده.

(٢) انظر: التفصيل في كتاب «الرسول القائد»، للواء الركن محمود شيت خطاب، دار الفكر، بيروت.

والعُدَّة.

وثبت ثبات الأبطال وقد طوقته جيوش المشركين من كل جانب، وكسرت رباعيته(١) وشج في جبهته حتى سال الدم على وجهه.

وأي استعدادات بلغت من الإحكام والدقة في التفاصيل، ما بلغته استعدادات الرسول ﷺ لتجهيز جيش العسرة؟

لماذا كل هذا الحذر الشديد والاستعدادات الدقيقة، إذا كان انتصار الرسول ﷺ بالخوارق غير العادية لا بالأعمال العسكرية والمواهب الحربية؟

إن النصر من عند الله، ولكن اللَّه لا يهب نصره لمن لا يعد كل متطلبات القتال.

إن المسلم حقًّا، هو الذي يقدر الرسول ﷺ حق قدره، فيعترف بأن كفاية الرسول ﷺ قائدًا متميزًا، وكفاية أصحابه جنودًا متميزين، هي التي أمنت لهم النصر العظيم.

أما أن نستند على الخوارق وحدها في الحرب، ونجعلها السبب المباشر لانتصار المسلمين، فذلك يجعل هذا النصر لا قيمة له من الناحية العسكرية عند غير المسلمين.

إن أعمال الرسول ﷺ ومنها العسكرية ـ سُنَّةٌ متبعة في كل زمان ومكان، فهل يبقى أتباعه ينتظرون الخوارق؛ لينتصروا على أعدائهم، أم يعدون ما استطاعوا من قوة؛ كما قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ [الأنفال: ٦٠] لينالوا هذا النصر؟

إن سيرة الرسول ﷺ العسكرية تثبت بشكل جازم لا يتطرق إليه الشك أن انتصاره كان لشجاعته الشخصية، وثباته في أحلك الظروف، ولقراراته السريعة الجازمة في أخطر الظروف، ولعزمه الأكيد في التشبث بأسباب النصر، ولتطبيقه كل مبادئ الحرب المعروفة في كل معاركه، تلك العوامل الشخصية التي جعلته يتفوق على أعدائه في الميدان بعد قوة إيمانه باللَّه ـ تَعَالَى ـ.

---

(١) الرباعية: السن بين الثنية والناب، وهي أربع؛ رباعيتان في الفك الأعلى، ورباعيتان في الفك الأسفل.

يمتاز الرسول ﷺ عن غيره من القادة في كل زمان ومكان بميزتين مهمتين: -

**الأولى:** أنه كان قائدًا عصاميًّا.

**والثانية:** أن معاركه كانت لنشر الإسلام والدفاع عنه.

إن غيره من القادة العظام وجدوا أممًا تؤيدهم وقوات جاهزة تساندهم، ولكن الرسول ﷺ لم تكن له أمة تؤيده، ولا قوات تسانده، فعمل على نشر دعوته، وتحمل أعنف المشقات والصعاب، حتى كون له قوة بالتدريج ذات عقيدة واحدة وهدف واحد، هو التوحيد وإعلاء كلمة الله.

وعلى ذلك يمكن تقسيم حياة الرسول ﷺ من الناحية العسكرية إلى أربعة أدوار: دور الحشد، ودور الدفاع عن العقيدة، ودور الهجوم، ودور التكامل.

**أما دور الحشد:** فمن بعثته إلى هجرته إلى المدينة المنورة واستقراره هناك، وفي هذا الدور اقتصر ﷺ على الحرب الكلامية: يُبشر وينذر ويحاول جاهدًا نشر الإسلام، وبذلك كون النواة الأولى لقوات المسلمين، وحشدهم في المدينة المنورة بالهجرة إليها، وعاهد بعض يهود ليأمن جانبهم عند بدء الصراع.

**أما دور الدفاع عن العقيدة:** فمن بدء الرسول ﷺ بإرسال سراياه وقواته للقتال إلى انسحاب الأحزاب عن المدينة المنورة بعد غزوة الخندق، وبهذا الدور ازداد عدد المسلمين، فاستطاعوا الدفاع عن عقيدتهم ضد أعدائهم الأقوياء.

**دور الهجوم:** فهو بعد غزوة الخندق إلى بعد غزوة «**حُنينْ**»، وبهذا الدور انتشر الإسلام في الجزيرة العربية كلها، وأصبح المسلمون قوة ذات اعتبار وأثر في بلاد العرب، فاستطاعوا سحق كل قوة تعرَّضت للإسلام.

**والدور الرابع هو دور التكامل:** وهو من بعد غزوة «**حنين**» إلى أن التحق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى؛ فقد تكاملت قوات المسلمين بهذا الدور، فشملت الجزيرة العربية كلها، وأخذت تحاول أن تجد لها متنفسًا خارج شبه الجزيرة العربية، فكانت غزوة «**تبوك**» إيذانًا بمولد الإمبراطورية الإسلامية. بهذا التطور المنطقي تدرج الرسول القائد

العصامي ﷺ بقواته من الضعف إلى القوة، ومن الدفاع إلى الهجوم، ومن الهجوم إلى التعرض، وبذلك بزَّ كل قائد في كل أدوار التاريخ؛ لأنه أوجد قوة كبيرة ذات عقيدة واحدة وهدف واحد من لا شيء.

والميزة الثانية لقيادته: هي أن معاركه كانت حروب عقيدة وفروسية بكل معنى الكلمة، الغرض منها حماية نشر الإسلام وتوطيد أركان الإسلام، ولم ولم ينقض عهدًا، ولم يمثِّل بعدوٍّ، ولم يقتل ضعيفًا، ولم يقاتل غير المحاربين.

وربما يتبادر إلى الأذهان أن القيادة في العصور الغابرة كانت سهلة التكاليف بالنسبة للقيادة في الحروب الحديثة؛ لقلة عدد القوات حينذاك بالنسبة إلى ضخامة عددها، وكثرة أسلحتها، ووسائلها في الجيوش الحديثة، ولكن العكس هو الصحيح. إن مهمة القائد في العصور الغابرة كانت أصعب من مهمته في العصر الحديث؛ لأن سيطرة القائد ومزاياه الشخصية كانت العامل الحاسم في الحروب القديمة؛ بينما يسيطر القائد في الحروب الحديثة على قواته الكبيرة بمعاونة عدد ضخم من ضباط الركن الذين يعاونونه في مهمته، ويراقبون تنفيذ أوامره في الوقت والمكان المطلوبين، كما يسيطر القائد على قواته بوسائط المواصلات الداخلية الدقيقة من أجهزة لاسلكية، وسلكية، ورادار وطيارات، وأقمار صناعية... إلخ.

بل إن هيئات الركن مسئولة حتى عن تهيئة خطط القتال قبل الوقت المناسب، ولا يقوم القائد إلا بمهمة الإشراف على التنفيذ.

إن القائد في الحرب الحديثة يحتاج إلى العقل وحده، والقائد في الحرب القديمة يحتاج إلى العقل والشجاعة.

**القيادة الربانية العبقرية لسيد البشرية ﷺ**

يقول اللواء الركن محمود شيت خطاب ـ رحمه الله ـ في كتابه القيم «**الرسول القائد**»:

«مزايا القائد الشخصية المثالية، كما ينص عليها كتاب: «**نظامات الخدمة**

**السفرية**»، وهو من أوثق المصادر العسكرية الحديثة: «ينحصر أهم واجب للقائد في إصدار القرارات».

«ولكي تكون قراراته صحيحة، لا تكفيه الشجاعة الشخصية، ولا الإرادة القوية الثابتة، ولا تحمل المسئولية بلا تردد، بل فضلاً عن ذلك عليه أن يكون واقفًا وقوفًا تامًّا على مبادئ الحرب، وقادرًا على إبداء الحكم السريع الواضح، وذا مخيلة مقرونة بمزاج لا تأخذه نشوة الفوز ولا تثبِّط عزيمته كارثة الخيبة، وأن يكون سابرًا غور الطبع البشري».

«ويتمكن القائد من المحافظة على معنويات قوته وتنفيذ أوامره، بالثقة والولاء اللذين يبعثهما في نفوس رجاله بقدر ما يتمكن من ذلك بوساطة الضبط».

«فالشخصية القوية، ومعرفة الطبع البشري، وأصالة الرأي الموزون، والتفاهم مع المرءوسين، عوامل أدبية جوهرية في تنشئة الكفاية العسكرية، فعلى القائد أن يغتنم كل فرصة سانحة للاتصال بمرءوسيه الآمرين وقطعاته، للوقوف على صفاتهم وما فيهم من جدارة».

هذه هي الصفات المثالية للقائد التي ينص عليها كتاب: «نظامات الخدمة السفرية».

وتضيف ـ إلى كل ذلك ـ بعض المصادر العسكرية الحديثة: ضرورة تحلي القائد بالقابلية البدنية؛ ليستطيع مشاركة قواته في تحمل مشاق القتال.

وهناك من يضيف إلى كل تلك المزايا: الماضي الناصع المجيد.

إن الصفات المثالية للقائد إذن؛ هي:

القابلية على إعطاء القرار السريع الصحيح، الشجاعة الشخصية، الإرادة القوية الثابتة، تحمل المسئولية بلا تردد، معرفة مبادئ الحرب، نفسية لا تتبدل في حالتي النصر والاندحار، سبق النظر، معرفة نفسيات مرءوسيه وقابلياتهم، ثقة قطعاته به وثقته بقطعاته، المحبة المتبادلة بينه وبين قواته، شخصية قوية نافذة، قابلية بدنية، ماضٍ

ناصع مجيد.

هذه هي الصفات المثالية للقائد المتميز، هي نتيجة لدراسة شخصيات أبرز القادة في التاريخ؛ لذلك فهي مجموعة من مزايا شخصيات كثيرة لا شخصية واحدة، فليس من الممكن أن تتوفر في شخص واحد، كما هو معروف.

ولكن كل هذه الصفات المثالية قليلة جدًّا بالنسبة لصفات الرسول ﷺ، إذ هناك صفات أخرى يتحلى بها رسول اللَّه ﷺ لم تتطرق إليها الكتب العسكرية؛ لأنها صفات يصعب على القادة الاعتياديين التحلي بها، بل هي فوق طاقة البشر بصورة عامة وذوي السلطان منهم بصورة خاصة.

وسنطبق كل هذه الصفات العسكرية على قيادة رسول اللَّه ـ صلوات اللَّه وتسليمه عليه ـ استنادًا إلى تاريخه العسكري الذي تحدثنا عنه في الفصول السابقة؛ لنرى بصورة جازمة أن هذه الصفات كلها بل أكثر من هذه الصفات كلها كانت من مزايا قيادة الرسول القائد ـ عليه أفضل الصلاة والسلام.

## تفصيل الصفات

أ ـ قرار سريع صحيح:

لا بد للقائد أن يصدر قرارًا سريعًا صحيحًا؛ ليبني خطته العسكرية استنادًا إلى قراره هذا، ويعمل بموجب تلك الخطة في إدارة رحى القتال.

فكيف يكون القرار سريعًا صحيحًا؟

يستند إصدار القرار الصحيح السريع إلى عاملين: القابلية العقلية للقائد، والحصول على المعلومات عن العدو وعن الأرض التي ستدور عليها المعركة.

وليس هناك من ينكر القابلية العقلية التي كان يتميز بها الرسولﷺ ، تلك القابلية التي لا يختلف فيها المسلمون وغير المسلمين، فهو الذي بشر وأنذر وخاطب وناقش عقليات كبيرة ووحد أمة، فهل يمكن أن يتم ذلك إلا لعقلية راجحة ومنطق سليم؟!

أما الحصول على المعلومات عن العدو وعن الأرض، فيكون بوساطة دوريات القتال والاستطلاع، وبالعيون والإرصاد، واستنطاق الأسرى، والاستطلاع الشخصي، وباستشارة ذوي الرأي.

لقد كان هدف الرسول ﷺ من غزواته وسراياه التي أرسلها قبل غزوة «**بدر**» الكبرى هو الحصول على المعلومات عن المنطقة المحيطة بالمدينة، والطرق المؤدية إلى مكة، والتعرف على سكانها، وعقد الأحلاف معهم.

وفي معركة «**بدر**» الكبرى أرسل دورية استطلاعية؛ لمراقبة عودة قافلة أبي سفيان بن حرب، وأرسل دوريات استطلاعية أمام قواته المتقدمة باتجاه «**بدر**»، وأرسل دوريتي استطلاع قبيل وصول قواته إلى «**بدر**»، بل قام الرسول ﷺ بالاستطلاع الشخصي ليتأكد من قوة قريش والمواضع التي وصلت إليها.

كما استفاد الرسول ﷺ من استنطاق الأسرى الذين أسرتهم إحدى دوريات استطلاعه قبيل معركة «**بدر**»، فعلم منهم بأسلوبه الرائع في الاستنطاق الموضع الذي وصلته قريش، وعدد قواتها من الرجال.

واستفاد من خبرة أحد أصحابه بخواص مياه آبار «**بدر**» وأسلوب السيطرة على مياهها، فبدَّل معسكره الأول ليلاً إلى معسكر مناسب يهيئ له السيطرة الكاملة على مياه الآبار.

هذه أمثلة تشبث النبي ﷺ بالحصول على المعلومات من غزوة «**بدر**» وحدها، وكل غزواته أمثلة على تشبثه بالحصول على المعلومات.

لقد عرف الرسول ﷺ كل نيات أعدائه قبل وقت مبكر، واستطاع أن يقضي على تلك النيات العدوانية قبل أن يستفحل أمرها، فلم يبرم يهود ولا القبائل أمرًا إلا وعرف ما أبرموا فورًا، واتخذ التدابير الحاسمة للقضاء على نياتهم العدوانية في عقر دارهم، واستطاع في كل مرة أن يفرق شمل أعدائه قبل أن ينجزوا حشد قواتهم للتعرض بالمسلمين.

لقد كان الرسول ﷺ منتبهًا كل الانتباه لكل حركة داخلية وخارجية، ولم يتهاون لحظة عن جمع المعلومات، فلا عجب إذا كانت قراراته سريعة صحيحة، ولا عجب إذا كانت خططه التي يرسمها استنادًا إلى تلك القرارات ناجحة إلى أبعد حدود النجاح.

**ب ـ شجاعة شخصية:**

شجاعة الرسول ﷺ الشخصية بارزة للعيان في كل معاركه التي خاضها، وهي بارزة في كل أعماله العسكرية وغير العسكرية على حد سواء.

قراره قبول معركة «**بدر**» الكبرى وهي أول معركة حاسمة خاضها المسلمون شجاعة نادرة؛ لأن موجود قواته ثلث موجود قوات قريش؛ ولأن إخفاق المسلمين في هذه المعركة قد يقضي على مستقبل الإسلام.

وثباته تجاه عشرة آلاف من قوات الأحزاب في غزوة «**الخندق**» شجاعة نادرة ـ أيضًا ـ، خاصة بعد أن نكث يهود عهودهم، فأصبح الخطر يهدد قوات المسلمين من خارج المدينة ومن داخلها.

وقد نزل في غزوة «**بدر**» الكبرى ليباشر القتال بنفسه.

وفي «**أحد**» كافح مع جماعة قليلة من أصحابه للخروج من الطوق الذي طوقهم به المشركون، فاستطاع أن ينقذ المسلمين من فناء أكيد، ولم يكتف بذلك بل قام بمطاردة قريش إلى موضع «**حمراء الأسد**».

ولو لم يثبت الرسول ﷺ مع عشرة فقط من أصحابه يوم «**حنين**»؛ لاستطاعت هوازن وثقيف أن تبيد المسلمين.

تلك مواقف يتصدع منها قلب أشجع الشجعان، ومع ذلك فقد ثبت الرسول ﷺ فيها غير مكترث بما يحدق به من أخطار.

ولولا شجاعة الرسول ﷺ الشخصية التي أظهرها في هذه المواقف وفي غيرها لما

انتصر المسلمون أبدًا.

### جـ إرادة قوية ثابتة:

إن صمودَ النبي ﷺ وحده تجاه التيار الجارف من المشركين منذ نزول الوحي عليه حتى التحاقه بالرفيق الأعلى دليلُ على إرادته القوية الثابتة التي لا تتزعزع.

لقد تحمل الإعراض والتكذيب والأذى والأخطار صابرًا محتسبًا، وهاجر من بلده إلى بلد آخر، واستمر يكافح حتى كون له قوة تسانده وتؤمن بالإسلام.

ثم جاهد بهذه القوة أعداءه في الداخل والخارج في داخل المدينة ضد يهود والمنافقين، وفي خارج المدينة ضد المشركين وعلى رأسهم قريش.

ولكنه صمد لكل هذا العناء مصرًّا على مكافحة مَنْ حوله من الناس جميعًا حتى يظهر اللَّه دينه، غير مكترث بتفوق أعدائه على قواته فواقًا ساحقًا.

إن حياة النبي ﷺ كلها مثال رائع للإرادة القوية الثابتة.

### د ـ تحمُّل المسئولية:

لم يكن هناك من يشارك الرسول ﷺ في تحمل المسئولية الضخمة في كل أعماله العسكرية وغير العسكرية، وما أعظمها من أعمال غيرت وجه التاريخ.

وأية مسئولية أخطر وأعظم من المسئولية التي كان يتحملها الرسول ﷺ منذ بعثه حتى التحاقه بالرفيق الأعلى!

إن أصحابه كانوا يعاونونه في كل شيء، ولكنه كان يتحمل وحده مسئولية كل شيء.

### هـ ـ نفسية لا تتبدل:

لم تتبدل نفسية رسول اللَّه ﷺ في حالتي النصر والإخفاق. لقد كان مسيطرًا على أعصابه سيطرة أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة في أشد المواقف حرجًا وفي أحلك الظروف.

لم يكن سهلًا السيطرة على الأعصاب عند تطويق المشركين له ولقسم من أصحابه في «**أُحُد**» من كل جانب، ومع ذلك سيطر على أعصابه وقاد سفينة المسلمين إلى ساحل الأمان.

ولم يكن سهلًا السيطرة على الأعصاب يوم «**الأحزاب**» خاصة بعد غدر يهود، ومع ذلك سيطر على أعصابه فصد «**الأحزاب**» وقضى على يهود.

ولم يكن سهلًا السيطرة على الأعصاب يوم «**حنين**» عند انهزام المسلمين، ولكنه ثبت مع عشرة فقط من أصحابه تجاه التيار الجارف من مطاردة المشركين، وسيطر على أعصابه حتى هزم أعداءه، فعاد أصحابه ليروا أسرى المشركين مكبلين بالأصفاد.

تلك أمثلة من سيطرته على أعصابه في وقت الشدة، أما في وقت الرخاء، فقد كانت سيطرته أروع بكثير مما هي عليه في وقت الشدة.

ومن أمثلة ذلك يوم فتح مكة، فقد رآه المسلمون يومذاك وقد أحنى رأسه على رحله وبدا عليه التواضع الجم، حتى كادت لحيته تمسُّ واسطة راحلته؛ وكلما استشعر بأهمية نصره ازداد تواضعًا وازداد على راحلته خشوعًا.

إن قيمة سيطرة الرسول ﷺ على أعصابه في مثل هذا الموقف الذي يعد أكبر نصر للمسلمين، تتضاعف إذا قارناها بمواقف العظمة والجبروت التي أظهرها غيره من القادة عند انتصارهم، فذهب بهم الطيش مذاهب أدت إلى كوارث من نتائجها هلاك ودمار كثير من الناس والأموال.

لقد بقي رسول اللَّه ﷺ بعد وصوله إلى أعلى مراتب السيطرة والسلطان بسيطًا في مأكله، ومشربه، وملبسه، وفي حياته كلها، كما كان في أول أيامه يوم كان يتيمًا معدمًا، استمر يأكل نفس النوع البسيط من الطعام، ويلبس نفس الرداء الساذج، ويسلك في كل تفاصيل حياته نفس البساطة التي اعتادها في أيامه الأولى.

حقًّا إنه كان يمتلك نفسية لا تتبدل!

### و ـ سبق النظر:

المخيلة التي تحسب حساب كل شيء، أو سبق النظر، أو بُعد النظر: كلها تعني ضرورة تفكير القائد في كل الاحتمالات القريبة والبعيدة، وإدخال أسوإ الاحتمالات في حسابه، وإعداد الخطط لكل موقف محتمل حتى يمكن تطبيق تلك الخطط عند الحاجة دون تردد ولا ارتباك.

لقد كان رسول اللَّه ﷺ يتحلى بمزية سبق النظر في كل أعماله العسكرية وغير العسكرية، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى.

أصرَّ الرسول ﷺ على قبول شروط هدنة «**الحديبية**»؛ لأنه فكر وسبق النظر، فعرف بفكره الثاقب أن قبول هذه الشروط نصر للمسلمين؛ فهي تهيئ لهم الاستقرار، وقد رأينا أن هذا الاستقرار جعل جيش المسلمين يصبح عشرة آلاف مقاتل في فتح مكة، وكان ألفًا وأربع مئة في غزوة «**الحديبية**» قبل سنتين.

وكانت كل الدلائل تبشِّر باستسلام قريش يوم الفتح، ومع ذلك اتخذ الرسول ﷺ كل التدابير الممكنة لمعالجة أسوأ الاحتمالات، فقسم قواته إلى أربعة أرتال، ودخل مكة من جهاتها الأربع بتشكيلات[1] القتال، حتى تستطيع قواته القضاء على كل مقاومة بكل سهولة دون أن تباغت من جهة غير متوقعة، فتكون العاقبة شرًّا على المسلمين وإحباطًا لمحاولات النبي ﷺ السلمية.

لقد كان الرسول ﷺ يفكر في كل كبيرة وصغيرة، ويُعد لكل أمر عدته، ويتخذ كل متطلبات الحذر، والحيطة، واليقظة؛ لذلك لم يستطع أعداؤه مباغتته في أي موقف من المواقف في غزواته كلها، واستطاع هو أن يباغت أعداءه في أكثر غزواته.

### ز ـ معرفة النفسيات والقابليات:

عرف الرسول ﷺ نفسيات وقابليات أصحابه؛ لأنه ولد بينهم، وعاش وترعرع

(١) تشكيلات القتال: التدابير التعبوية للقتال.

بينهم، وكان يعيش بينهم فردًا منهم يشاركهم في السراء والضراء.

عرف مزايا الجميع، وكلف كل واحد منهم بواجب يتفق مع قابليته البدنية والعقلية؛ لذلك استطاع أكثر أصحابه إنجاز مهمتهم بكفاية وإتقان.

استمال قلوب المؤلفة قلوبهم بالمال بعد «**حنين**»؛ لأن المادة كانت تطغى على جوانب تفكيرهم، إذ لم يستشعروا بعد حلاوة الإيمان. قال صفوان بن أمية: «ما زال رسول اللَّه ﷺ يعطيني من غنائم «**حنين**» وهو أبغض الخلق إليَّ، حتى ما خلق اللَّه شيئًا أحب إليَّ منه!».

ولكنه حرم الأنصار من غنائم يوم «**حنين**»؛ لأنهم كانوا أغنياء بإيمانهم العظيم، وقد بكوا حتى أخضلوا لحاهم بالدموع حين قال لهم الرسول ﷺ: «**أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس إلى رحالهم بالشاة والبعير، وتذهبون برسول اللَّه إلى رحالكم؟**».

قال الأنصار: «**رضينا باللَّه ورسوله قسمًا**».

وأمسك الرسول ﷺ يوم «**أُحد**» بسيف، وقال: «**من يأخذ هذا السيف بحقه؟**» فقام إليه رجال، فأمسكه عنهم، حتى قام أبو دجانة، فقال: «**وما حقه يا رسول اللَّه؟**».

قال الرسول ﷺ: «**أن تضرب به العدو حتى ينحني**».

قاتل أبو دجانة بهذا السيف قتالًا شديدًا، فلما دارت الدائرة على المسلمين ترس[1] بنفسه دون رسول اللَّه ﷺ، فحنى ظهره عليه والنبل يقع فيه.

لقد كان الرسول ﷺ يعرف أن بين أصحابه شجعانًا مغاوير، فكلفهم بواجبات تحتاج إلى الشجاعة؛ كأبي دجانة، وكان يعرف أن بين أصحابه من لا يقوى قلبه على الحرب؛ كحسان بن ثابت، فتركه مع النساء يوم «**أُحد**» والخندق، واستفاد من شعره البليغ، وكان يعرف أن من بينهم صاحب الرأي والمشورة، ومن بينهم من يستطيع

---

(١) كان له بنفسه ترسًا؛ أي: وقاه بنفسه.

قيادة غيره، ومن بينهم من لا يستطيع أن يكون أكثر من جندي بسيط، فكلف كل واحد من هؤلاء بواجب يستطيع إنجازه.

إنه لم يحمل شخصًا فوق ما يطيق، وهذا دليل على معرفته نفسيات وخواص وقابليات أصحابه جميعًا.

ولعل أهم ميزة يمتاز بها الرسول ﷺ على غيره من القادة والرسل هي أنه كان قديرًا على اختيار الرجل المناسب للعمل المناسب. إنه كان يعرف النفسية البشرية ويقدرها حق قدرها، ويعرف كيف يوجهها إلى ما يناسبها.

والمهم في الأمر أنه ـ صلوات اللَّه وتسليمه عليه ـ كان يذكر أصحابه بأفضل ما فيهم من صفات، ويغض النظر عما يعانونه من نواقص بشرية، ويأمر أصحابه بذكر أصحابه بأفضل ما فيهم.

وبذلك كان ـ عليه الصلاة والسلام ـ يبني الرجال ولا يحطم الرجال.

**ح ـ الثقة المتبادلة:**

كانت ثقة أصحاب الرسول ﷺ به عظيمة جدًّا؛ كما كانت ثقته بأصحابه عظيمة ـ أيضًا ـ، يكفي أن نذكر موقف المسلمين من صلح «**الحديبية**»، إذ لولا ثقتهم العظيمة به؛ لرفضوا هذا الصلح.

أما ثقته بأصحابه فيكفي للدلالة عليها أنه قبل زجَّ قواته في معركة «**بدر**»، بينما كانت قوات المشركين ثلاثة أمثال قوته؛ كما زجَّ بهم في معركة «**أُحد**»، بينما كانت قوات المشركين خمسة أمثال قواته... إلخ.

ولا يمكن أن يقبل القائد الاشتباك في معركة لا يعرف مصيرها ضد أعدائه المتفوقين على قواته فواقًا ساحقًا، إلا إذا كان ذلك القائد يثق بقواته ثقة عظيمة جدًّا.

**ط ـ المحبة المتبادلة:**

ظهرت محبة الرسول ﷺ لأصحابه، ومحبة أصحابه له في كل غزواته، بل في

كل موقف له في السلم والحرب.

حسبنا أن نذكر موقف أصحابه منه في معركة «**أُحد**» حين أحدق به المشركون من كل جانب وصوبوا عليه نبالهم؛ فأخذ المسلمون يصدون عنه النبال المصوبة عليه بأجسادهم. ولم يقتصر ذلك على الرجال، بل شمل النساء ـ أيضًا ـ، فقد ألقت نسيبة الخزرجية سقاءها، واستلت سيفًا وأخذت تذود به عن رسول اللَّه ﷺ حتى خلصت الجراح إليها، فأصيبت يومئذ بثلاثة عشر جرحًا، وأغمي عليها من النزيف؛ فلما أفاقت لم تسأل عن زوجها الذي شهد «**أُحدًا**»، ولا عن ولديها اللذين كانا يقاتلان مع الرسول ﷺ، بل سألت أول ما سألت بعد أن عاد إليها وعيها: «**وكيف حال الرسول**»؟

ولما مرض مرضه الذي توفاه اللَّه فيه، اعتكف في بيت عائشة أم المؤمنين ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ، فرفع الرسول ﷺ الستر المضروب على منزل عائشة وفتح الباب وبرز للناس، فكاد المسلمون يفتنون في صلاتهم ابتهاجًا برؤيته.

ولما قبض الرسول ﷺ وتسرب النبأ الفادح، شعر المسلمون أن آفاق المدينة أظلمت عليهم، فتركتهم لوعة الثكل حيارى لا يدرون ما يفعلون.

لقد كان أصحاب الرسول ﷺ يحبونه أكثر من حبهم أنفسهم؛ لأن حبهم له دين، ولو لم يكن دينًا لأحبوه ـ أيضًا؛ لأنه يستحق الحب والتقدير.

أما حب الرسول ﷺ لأصحابه، فيكفي أن نذكر كيف نعى شهداء «**مؤتة**» وعيناه تذرفان، وكيف أنه رفض ما اقترحه عمر بن الخطاب حول قتل حاطب بن أبي بلتعة؛ لأنه أرسل كتابًا إلى قريش يخبرهم فيه بحركة المسلمين لفتح مكة، بل على العكس، أمر الرسول ﷺ أن يذكر المسلمون حاطبًا بأفضل ما فيه.

لقد كان يحب أصحابه حبًّا لا مزيد عليه، فإذا سلمَّ عليهم لا يكون البادئ أبدًا بسحب يده عن السلام، وكان يلقى الناس بوجه باسم متهلل حقًّا، وكان يمقت الغيبة، وكان البادئ دائمًا أصحابه بالتحية.

ما أعظم هذا الحب المتبادل بين القائد وجنوده! ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤].

ي - الشخصية:

أرسلت قريش عروة بن مسعود الثقفي؛ لمفاوضة الرسول ﷺ يوم «**الحديبية**»، فعاد إلى قريش يقول: «يا معشر قريش! إني جئت كسرى في ملكه، وقيصر في ملكه، والنجاشي في ملكه، وإني والله، ما رأيت ملكًا في قوم قط مثل محمد: لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه، ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه، وإنهم لن يسلموه لشيء أبدًا».

بهذا الوصف الرائع يصف مشرك من أعداء الرسول ﷺ شخصية النبي الكريم - عليه أفضل الصلاة والسلام -.

**فما أسباب هذه الشخصية القوية النافذة التي كان يتحلى بها الرسول ﷺ؟**

لقد كان الرسول ﷺ متواضعًا حليمًا، رءوفًا، رحيمًا؛ ومع ذلك لا يستطيع أحد أن يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ، ولا يستطيع أحد أن يديم النظر إلى وجهه المنير، ولا يستطيع أحد أن يرد له أمرًا أو يتردد في تنفيذه.

إن أسباب قوة شخصية الرسول ﷺ هي محبته للناس جميعًا، ورغبته الشديدة في خيرهم وهدايتهم، وخلقه العظيم.

تقول كتب علم النفس الحديث: «إن الذين يعملون على إفادة أكبر جزء ممكن من المجتمع الإنساني، يعتبرون أرقى الشخصيات جميعًا، وهم في الغالب أقربها إلى درجات التكامل.

إن درجة تكامل الشخصية تتناسب تناسبًا «**طرديًا**» مع اتساع دائرة المجتمع الذي يرمي الفرد إلى إسعاده، فأقلها تكاملًا التي يسعى صاحبها فقط لإسعاد ذاته، إذ لا بد من أن تتعارض نزعاته الذاتية مع نزعاته الاجتماعية في تحقيق غايته الذاتية.

ويليها من يسعى صاحبها لإسعاد أسرته وأولاده، ثم يليها من يعمل صاحبها على

إسعاد أقاربه، ويليها من يعمل على إسعاد هؤلاء وأصدقائه، ويليها من يعمل لإسعاد أهل بلده أجمعين.

وهكذا إلى أن تصل إلى من همه الأول والأخير إسعاد المجتمع بأوسع معانيه، وهنا قد نصل إلى مرحلة ربما تبدو «**مجردة**»؛ كالبحث عن الحقيقة ومناصرة العدل وخدمة المجتمع».

هذا نص ما تقوله كتب علم النفس الحديث. أرأيت كيف أنها تقرر استبعاد إمكان أن يكون هناك إنسان همه الأول والأخير إسعاد البشر؟

إن الرسول ﷺ فعل ذلك، بل فعل أكثر من ذلك، ومن حق هؤلاء العلماء أن يستبعدوا إمكان وجود إنسان مثالي كان همه إسعاد الناس بل إسعاد العالمين؛ لأنهم يجهلون سيرة الرسول ﷺ الذي يقول: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه**».

فلا عجب أن تكون له كل هذه الشخصية الفذة بكل هذا النور والجلال.

**ك ـ القابلية البدنية:**

كانت للرسول ﷺ قابلية بدنية فائقة، وقد رأيت كيف كان يلجأ إليه أصحابه عند حفر الخندق، كلما استعصت عليهم صخرة، فيسرع إليها لتحطيمها؛ حيث تتفتت تحت وطأة مطرقته التي يهوي بها ساعده القوي.

شارك أصحابه في حراساتهم وفي استطلاعاتهم وفي مسيراتهم الطويلة الشاقة في كل فصول السنة، وأظهر في كل ذلك تحملًا وجلدًا يعجز عنه أقوى أصحابه.

لقد كان أروع مثال شخصي لأصحابه في تحمل الصعاب والمشقات.

**ل ـ الماضي الناصع المجيد:**

كانت العرب تعتد بالنسب، والرسول ﷺ من قريش أشرف العرب، ومن بني هاشم أشرف قريش؛ وكذلك هو أشرف العرب حسبًا وأفضلهم نسبًا من قبل أمه

آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة، ومن قبل أبيه عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف.

أما سيرته الشخصية قبل بعثته ﷺ، فلأترك سير وليم موير sir william muir يتحدث عن ذلك، وقد أوردت هذا الحديث عمدًا ـ على اعتبار أن كاتبه ليس مسلمًا ـ حتى أستبعد اتهام كاتبه بالتعصب والمغالاة... يقول موير: «تجمع كل مراجعنا وأسانيدنا ـ فيما ينسب إلى محمد في شبابه من سيرة التواضع والاحتشام وطهارة الخلق ـ على صورة نادرة الوجود بين المكيين». ثم يعود فيقول: «وبما وهب من عقل راجح، وذوق رفيع، وحرص دقيق، وعمق في التأمل، عاش منطويًا على نفسه طويلًا، متخذًا من تأملاته العقلية ـ دون ريب ـ شاغلًا لوقت الفراغ الذي كان يقتله غيره ـ من ذوي الطابع الخسيس ـ باللهو السمج، والفجور الماجن، والسلوك الخليع. وقد وقع خلق ذلك الشاب القويم ومسلكه الورع والعف موقع الحمد والثناء من قلوب قومه جميعًا، وبإجماعهم عن طيب خاطر نال لقب: «**الصادق الأمين**».

ويقول: «ولم يولع محمد بالثراء أبدًا، ولم تبد منه هذه الظاهرة في أية فترة من فترات حياته الرتيبة الهادئة الوادعة على جلبة الرحلة، وضوضاء التجارة، وهموم السفر، ولم يكن محمد ليفكر أبدًا من تلقاء نفسه في مثل هذه الرحلة، ولكن ما أن اقتُرح عليه ذلك حتى استشعر نفسه الكريمة على الفور ضرورة البذل لما في وسعه من جهد مساعدة لعمه».

ويقول واشنجتون آرفنج[1] عنه: «كانت طباع الرسول هادئة متلائمة، وكان يمرح أحيانًا ولكنه كان في معظم الأحوال جادًّا، وإن كانت له ابتسامة خلابة. كانت جميع تصرفات الرسول تدل على رحمة عظيمة، وكان سريع البديهة، قوي الذاكرة، واسع الأفق، عظيم الذكاء. كان الرسول عادلًا، فكان يعامل الأصدقاء،

(١) الحق هو أنني لا أحب أن أستشهد بأقوال المستشرقين وغيرهم لإثبات عظمة النبي ﷺ ولكنني اضطررت إلى إيراد هذين المثالين؛ لأن هذين الكاتبين غير مسلمين، والفضل ما شهدت به الأعداء.

والغرباء، والأغنياء، والفقراء، والأقوياء، والضعفاء، على قدم المساواة، وكان عامة الناس تحب الرسول، إذ كان يحسن استقبالهم، ويستمع إلى شكواهم، كان حسن الطباع حليمًا، رحيمًا، صبورًا.

كانت حياته لا سيما في فجرها المبكر تتميز بالحنو، والعطف على اليتيم، والفقير، والأرمل، والبائس، والضعيف، والرقيق، ولم يذق الخمر أبدًا، ولم يلعب الميسر،...».

يقول موير: «إن أوثق برهان على صدق محمد وإخلاصه، أن كان أسبق الداخلين في الإسلام من ذوي الاستقامة في خاصة أصفيائه وأهل بيته، الذين لا يستطيعون - مع معرفتهم الوثيقة بدقائق حياته الخاصة تفصيلًا - أن يفوتهم بحال من الأحوال إدراك ما تنطوي عليه أساليب الأفاكين في نفاقهم، من إسدال السُّجُف والأستار على ما يأتون من أعمال تتناقض حقائقها في سريرتهم مع ما يدعون إليه جهرًا».

واسمع إلى زوجه خديجة أم المؤمنين - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - تقول له مشجعة عندما جاءه الوحي: «ابشر يا ابن العم واثبت! فوالذي نفس خديجة بيده، إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة. والله، لا يخزيك اللَّه أبدًا. إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكَلَّ، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق».

واسمع قول اللَّه - تَعَالَى - فيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤].

لقد كان ماضي الرسول ﷺ مجيدًا مشرفًا بإجماع أقوال أصحابه وأعدائه على حد سواء.

### م - معرفة وتطبيق مبادئ الحرب[١]:

كان الرسول ﷺ يعرف مبادئ الحرب بالفطرة السليمة التي تدل على استعداده

---

(١) مبادئ الحرب: هي الجوهر الذي ينشئ في القائد «السجية» الصحيحة في تصرفاته في الحرب، وهي العنصر الذي يتكون منه مسلك القائد في أعماله بصورة طبيعية وغير متكلفة.

ومبادئ الحرب: هي مبادئ ثابتة لا تتغير أبدًا، وهي الأسس القديمة التي ترتكز عليها الحروب في كل زمان ومكان.

الفطري الممتاز للقيادة.

وقد طبق الرسولﷺ هذه المبادئ في معاركه كلها، مما كان له أثر حاسم في انتصاراته.

لقد تطرقنا عند بحث أعمال الرسولﷺ العسكرية إلى أمثلة كثيرة من تطبيقه العملي لمبادئ الحرب العشرة: اختيار المقصد وإدامته، والتعرض، والمباغتة، وحشد القوة، والاقتصاد بالمجهود، والأمن، والمرونة، وإدامة المعنويات، والأمور الإدارية.

وسنذكر بعض هذه الأمثلة للدلالة على تطبيق هذه المبادئ بكفاية نادرة فذة تدعوان إلى الإعجاب والتقدير الشديدين.

**أولًا: اختيار المقصد وإدامته**(١) :

كان الرسولﷺ يختار مقصده بالضبط، ويفكر في أقوم طريقة للوصول إليه، ثم يقرِّر خطة مناسبة للحصول عليه.

لقد ظهر مبدأ «**اختيار المقصد**» في أول معاهدة عقدها الرسولﷺ بعد هجرته إلى المدينة، تلك المعاهدة المعقودة بين المسلمين من جهة والمشركين ويهود من أهل المدينة من جهة أخرى، فنصت على أنه لا يجير مشرك مالًا لقريش، ولا نفسًا، ولا يحول دونه على مؤمن.

إن قريشًا أخرجت الرسولﷺ وأخرجت أصحابه من مكة ظلمًا وعدوانًا، فمن حقه أن تكون قريش «**مقصده**» الحيوي الذي يختاره.

ولعل من أبرز أمثلة «**اختيار المقصد**» ما فعله الرسول ﷺ في غزوة الحديبية. لقد كان «**مقصده**» من تلك الغزوة التأثير في معنويات قريش من غير قتال، فخرج

---

(١) اختيار المقصد وإدامته:

في كل حركة حربية من اللازم اختيار المقصد وتعريفه بوضوح. إن المقصد النهائي هو تحطيم إرادة العدو على القتال. يجب أن توجه كل صفحة من الحرب، وكل صفحة منفردة نحو هذا المقصد الأعلى، ولكن لكل منها مقصد محدود يجب أن يعرف بوضوح.

محرمًا واستصحب أسلحة الراكب، فلما علم باقتراب قوات قريش من قواته، ترك الطريق العام إلى طريق فرعية وعرة للتملص من القتال، حتى وصل بقواته إلى «**الحديبية**»، وبقي هناك مصرًّا على «**مقصده**» هذا، فأفسح المجال للمفاوضات. وعندما هاجم قسم من المشركين معسكر قواته وألقى المسلمون القبض على المهاجمين، أطلق سراحهم دون أن يلحق بهم أذى.

وبقي مصرًّا على «**مقصده**» في عدم محاربة قريش، وفي إظهار نياته السلمية حتى تم له عقد صلح الحديبية، على الرغم من تذمر قسم من أصحابه من هذا الصلح.

إن الرسول ﷺ كان يختار «**مقصده**» بدقة تامة ولا ينساه أبدًا في كل أعماله العسكرية وغير العسكرية.

**ثانيًا: التعرض**[1]**:**

يمكن اعتبار كل غزوات الرسول ﷺ تعرضية ما عدا غزوتي «**أُحد**» و«**الخندق**»، إذ إن المشركين هم الذين حشدوا قواتهم في منطقة المدينة وتعرضوا بالمسلمين.

لقد استطاع الرسول ﷺ بشتى الأساليب الحصول على المعلومات عن نيات أعدائه قبل وقت مناسب، وبذلك استطاع أن يتعرض بأعدائه ويقضي على نياتهم العدوانية.

إن التعرض ليس معناه التحرش؛ بل معناه: الروح الهجومية التي يتحلى بها القائد؛ لأن الدفاع وحده لا يؤدي إلى النصر الحقيقي بل إلى نصر موضعي فقط في حالة نجاحه، أما التعرض فيؤدي في حالة نجاحه إلى النصر.

ومن المهم أن نذكر ـ هنا ـ، أن مبدأ «**التعرض**» التي طبقه الرسول ﷺ كان دفاعًا عن الإسلام، وحماية للدين الحنيف، وحرصًا على حرية نشره، ولغرض إقرار السلام، وبذلك طبق المبدأ التعبوي القائل: إن التعرض هو أفضل وسيلة للدفاع.

---

(١) التعرض: هو الهجوم على العدو لسحقه، ولا يتم الحصول على النصر إلا بالتعرض وحده.

**ثالثًا: المباغتة**[١]

المباغتة هي إحداث موقف لا يكون العدو مستعدًّا له، والكتمان من أهم الوسائل المهمة التي تؤدي للمباغتة.

إن الكتمان يتم إما بإخفاء استعداداتنا، أو بإخفاء نياتنا، أو باستعمال أسلحة جديدة، أو باستعمال الأسلحة الموجودة بطريقة جديدة.

والمباغتة إما أن تكون في المكان، أو في الزمان، أو في الأسلوب، ولقد طبق الرسول ﷺ مبدأ «**المباغتة**» بكل هذه الحالات، حتى يمكن اعتبار غزواته نماذج رائعة لتطبيق أساليب المباغتة.

كانت المدينة هي «**القاعدة الأمينة**» للمسلمين، ولكنها كانت تعج بـ «**الرتل الخامس**»[٢] الذين لا يريدون خير المسلمين، ويعملون على إحباط جهودهم بشتى الطرق والأساليب.

من هؤلاء «**الرتل الخامس**» اليهود، والمنافقون، وعيون قريش من الأعراب، وعيون الروم من الأنباط، وكان كل هؤلاء ينقلون أخبار المسلمين إلى أعدائهم كلما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا.

ولكنَّ الرسولَ ﷺ حرص على كتمان نياته حرصًا شديدًا، فكان إذا أراد غزوة وريَّ بغيرها، فينقل «**الرتل الخامس**» تلك المعلومات الخاطئة إلى أعدائه، مما يؤدي إلى

---

(١) المباغتة: المباغتة أقوى العوامل وأبعدها أثرًا في الحرب، وتأثيرها المعنوي عظيم جدًّا، وتأثيرها من الناحية النفسية يكمن فيما تحدثه من شلل متوقع في تفكير القائد الخصم.

وفيما يلي بعض الوسائل التي يمكن الحصول بها على المباغتة:

١- بكتمان الاستعدادات للخطط الحربية، وبكتمان جسامة القوات الاحتياطية.

٢- بالتنقل السريع للقطعات من نقطة إلى أخرى تمهيدًا لإنزال الضربة على موضع لا يتوقعه العدو.

٣- باستخدام الأرض الوعرة، أو الصعبة، أو بعبور المواقع التي تعتبر غير قابلة للعبور.

٤- باستخدام أسلحة جديدة غير متوقعة، أو أساليب تعبوية جديدة.

(٢) الرتل الخامس: كناية عن الجواسيس، والوكلاء، والعيون، والأرصاد.

بلبلة أفكار أعداء المسلمين.

**ومن أمثلة الكتمان الشديد**، تلك «**الرسالة المكتومة**» التي أرسل بها مع عبدالله بن جحش.

لقد أمر الرسول ﷺ عبدالله بن جحش ألا يفتح تلك الرسالة إلا عند وصوله موضع «**نخلة**» بعد يومين من مسيره، فإذا فتحها وفهم مضمونها مضى في تنفيذها؛ وبهذه الطريقة لم يستطع أحد من أهل المدينة على اختلاف أهوائهم وميولهم أن يعرف نيات الرسول ﷺ، ولا واجب سرية عبدالله وهدفها.

وقد أخفى نياته في غزة الفتح حتى عن أهله الأقربين وصديقه الحميم أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وقد دخل أبو بكر الصديق على ابنته عائشة زوج النبي ﷺ وهي تهيئ جهاز الرسول ﷺ، فقال لها: «**أي بنية! أأمركم رسول الله ﷺ أن تجهزوه**»؟ قالت: «**نعم، فتجهز**». قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «**فأين ترينه يريد**»؟ قالت: «**والله، لا أدري**».

بهذا الكتمان الشديد، استطاع الرسول ﷺ أن يحرك جيشًا كبيرًا قوامه عشرة آلاف مسلم لفتح مكة، دون أن تستطيع قريش معرفة وقت حركته ولا نياته حتى وصل الجيش إلى ضواحي مكة، فاضطرت قريش على الاستسلام.

**ومن أمثلة المباغتة في المكان**: غزوة بني لحيان، فقد تحرك الرسول ﷺ بقواته شمالًا باتجاه الشام حتى لا تعرف قريش وبنو لحيان اتجاه حركته الحقيقي، فلما انتشرت أخبار حركة المسلمين إلى الشمال، عاد الرسول ﷺ بقواته فجأة باتجاه بني لحيان، وبذلك باغتهم في المكان.

وفي غزوة «**خيبر**» تحرك الرسول ﷺ إلى «**الرجيع**» قريبًا من ديار غطفان، وبعد أن أرسل مفرزة صغيرة من قواته إلى معسكر غطفان، عاد بقواته الرئيسة إلى خيبر، وبهذه الحركة أوهم غطفان بأنه يريدهم، وأوهم يهود خيبر بأنه لا يريدهم، فباغت الطرفين ومنع تعاونهما في قتال المسلمين.

**ومن أمثلة المباغتة في الزمان**: غزوة بني قريظة، إذ تحرَّك الرسول ﷺ إليهم في وقت

لا يتوقعونه، فشلَّ معنوياتهم، واحتفظ هو بالمبادأة حتى نهاية المعركة.

كما أن مسير الاقتراب الذي أجراه الرسول ﷺ في غزوة خيبر بهدوء وسكينة حتى وصل موضع خيبر ليلًا، وأكمل تطويقها في نفس الليلة دون أن يستطيع يهود معرفة وقت وصوله وتطويقه لقصبتهم، وهذا المسير يعتبر مباغتة في الزمان.

ومن أمثلة المباغتة في الأسلوب: قتال الرسول ﷺ بأسلوب «**الصف**» في غزوة «**بدر**» الكبرى تجاه قريش التي قاتلته بأسلوب «**الكرّ والفرّ**»، ومن الطبيعي أن أسلوب «**الصف**» له الأرجحية على أسلوب «**الكرّ والفرّ**» من الناحية العسكرية.

كما أن حفر الخندق في غزوة الأحزاب كان مباغتة في الأسلوب ـ أيضًا ـ؛ لأن العرب لم تكن تعرف إنشاء الخنادق لغرض الحماية في الحصار.

وقد استخدم المنجنيقات والدبابات في غزوة حصار الطائف، وهذا مباغتة في الأسلوب ـ أيضًا.

إن القائد العبقري هو الذي يطبق مبدأ المباغتة في معاركه، والرسول ﷺ قد طبق هذا المبدأ في كل معاركه، مما كان له أعظم الأثر على نتائجها الحاسمة.

**رابعًا: حشد القوة(١):**

منذ نزل الوحي على رسول اللَّه ﷺ فأصبح رسول الله، وهو يعمل جاهدًا في سبيل نشر الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة؛ وانتشار الدعوة معناه ازدياد قوة المسلمين وإكمال حشدهم؛ لاستخدام قواتهم في المكان والزمان المناسبين.

وهجرته إلى المدينة من الناحية العسكرية؛ معناها: حشد المسلمين في منطقة واحدة؛ ليكونوا تحت قيادة واحدة.

ولم يبدأ الجهاد في الإسلام إلا بعد إنجاز حشد المسلمين، إذ أصبح المسلمون بدرجةٍ من القوة يستطيعون معها الدفاع عن الإسلام.

---

(١) حشد القوة: هو حشد أعظم قوة أدبية، وبدنية، ومادية، واستخدامها في الزمان والمكان الجازمين.

لقد رأينا في بيعة «**العقبة الثانية**» كيف انكشف للمشركين أمر هذه البيعة، وكيف أظهر الأنصار في حينه عدم إكتراثهم بخطر انكشاف بيعتهم. قال سعد بن عبادة: «**يا رسول الله، واللَّه الذي بعثك بالحق، إن شئت لنحملنَّ على أهل «منى» غدًا بأسيافنا**».

ولكن الرسول ﷺ كان أبعد نظرًا وأعمق من أن تؤثر فيه العاطفة، فقال له: «**لم نؤمر بذلك، ولكن ارجعوا إلى رحالكم**».

فلما أنجز الرسول ﷺ كل استعدادات حشد المسلمين في المدينة، وعاهد أهلها من يهود والمشركين، بدأ القتال «**فعلًا**»؛ لأن قوات المسلمين حينذاك أصبحت من الناحيتين المادية والمعنوية قادرة على حماية الدعوة وصيانة حرية الرأي.

إن الرسول ﷺ طبق مبدأ «**الحشد**» في كل غزواته، ولم يتردد أبدًا في حشد أكبر قوة مادية ومعنوية في كل معركة خاضها.

**خامسًا: الاقتصاد بالمجهود**(١):

راعى الرسول ﷺ مبدأ «الاقتصاد بالمجهود» في كل غزواته، ولم يندب قوة لواجب ما إلا وهي كافية لذلك الواجب من كل الوجوه.

إن نظرة بسيطة على قوات المسلمين ومقارنتها بقوات أعدائهم، تُظهر بوضوح مقدار حرص الرسول ﷺ على تطبيق مبدإ الاقتصاد بالقوة.

**سادسًا: الأمن**(٢):

لقد أمَّن الرسول ﷺ حماية قواته في كل غزواته، وبذل غاية جهده لمنع العدو من

---

(١) الاقتصاد بالمجهود: هو استخدام أصغر القوات للأمن، أو لتحويل انتباه العدو إلى محل آخر، أو صد قوة معادية أكبر منها مع بلوغ الغاية المتوخاة.

إن الاقتصاد بالمجهود يدل على الاستخدام المتوازن للقوى والتصرف الحكيم بجميع المواد لغرض الحصول على حشد القوى المؤثر في الزمان والمكان الحاسمين.

(٢) الأمن: هو توفير الحماية للقوة ولمواصلاتها لوقايتها من المباغتة، ومنع العدو من الحصول عل المعلومات.

الحصول على المعلومات، وبذلك طبق مبدأ الأمن.

إن دوريات الاستطلاع والطلائع والساقات التي كان يؤمنها الرسول ﷺ في مسير الاقتراب وعند العودة من غزواته، كان لغرض حماية قواته من مباغتة العدو لها.

كما أنَّ تأمين الحراسات والعسس هو لحماية قواته ـ أيضًا ـ من مباغتة العدو لها.

وكما حرص الرسول ﷺ على الحصول على المعلومات من أعدائه بشتى الوسائل كما رأينا ـ سابقًا ـ، فقد حرص على منع العدو من الحصول على المعلومات عن المسلمين بشتى الوسائل ـ أيضًا.

لقد طبَّق مبدأ الكتمان في كل أعماله، وحثَّ المسلمين على حفظ الأسرار وعدم إباحتها، وأمر أن يُسارع المسلمون بإخباره عن كل حادث مهم.

والحق أن المتتبع لحياة الرسول ﷺ يعجب أشد الإعجاب بمعرفته فورًا بكل المعلومات التي تهمه وتؤثر على المصلحة العامة للمسلمين.

كيف عرف برسالة حاطب بن أبي بلتعة تلك الرسالة التي حاول أن يخبر بها قريشًا عن حركة المسلمين لفتح مكة؟

كيف عرف بإزماع أبي سفيان بن حرب القدوم إلى المدينة لتمديد فترة الهدنة؟

كيف عرف كل حركات المنافقين وكل مؤامرات يهود وقضى عليها؟

كيف أحبط كل هذه المؤامرات ومنع افتضاح نيات المسلمين؟

كل ذلك يدل على حرصه الشديد على كتمان نيات المسلمين، وحرمان العدو من الحصول على المعلومات عن أهداف ومقاصد حركات المسلمين.

**سابعًا: المرونة[1]:**

كانت قوات المسلمين تتحرك إلى أهدافها بكفاية وسرعة.

---

(١) المرونة: إن المبدأ الذي كان يسمى قبل الحرب العالمية الثانية بمبدإ: «قابلية الحركة»، أصبح يسمى الآن مبدأ: «المرونة»، ذلك لأن «قابلية الحركة» تدل على الحركة المادية، وهي صنعة نسبية لا يعبر عنها تعبيرًا صحيحًا إلا بالمقارنة مع قابلية حركة العدو.
=

لقد استطاعت قوات المسلمين أن تصل إلى أهدافها في الوقت المناسب، فتقوم بإحباط نيات العدو العدوانية، قبل أن يكمل العدو استعداداته التي تساعده على النجاح.

وصلت قوات المسلمين إلى «**دومة الجندل**»، وإلى «**تبوك**»، وإلى ربوع فلسطين وإلى الطائف، وكل هذه الأماكن بعيدة عن قاعدة المسلمين ـ المدينة ـ، وقد قُطِعت أكثر هذه المسافات ليلًا، وفي ظروف قاسية من ناحية المشاكل الإدارية والطقس، كما استطاع المسلمون أن يستمروا في الحركة ثلاثين ساعة متتابعة عند عودتهم من غزوة بني المصطلق.

وقد رأيت كيف كان الرسول ﷺ مرنًا في وضع خططه وفي تنفيذها، وكيف أنه يعدِّل تلك الخطط عند الحاجة حسب الظروف الراهنة.

كل ذلك يدل على تطبيق الرسول ﷺ مبدأ «**المرونة**»، وتحريك قواته بسرعة لا تقل سرعة وإتقانًا عن أقوى جيش حديث في هذا العصر؛ لأن المسيرات الليلية وقطع المسافات الطويلة والاستمرار في المسير ثلاثين ساعة كاملة دون استراحة يدل على تدريب راق وكفاية متميزة.

**ثامنًا: التعاون**[1]:

لقد رأينا كيف تعاون الرماة مع السيَّافة والرمَّاحة في غزوة «**بدر**» الكبرى، فقد نضح الرماة المشركين بنبالهم وأوقعوا فيهم خسائر فادحة سهلت مهمة هجوم السيافة والرماحة للقضاء نهائيًا على مقاومة قريش.

كما رأينا تعاون الفرسان مع المشاة في الغزوات الأخرى.

---

= إن «المرونة» تعني أكثر من ذلك، إنها لا تتضمن قوة الحركة فحسب، بل قوة العمل السريع كذلك؛ فعلى القائد أن يكون مرن الفكر، وعليه أن يطبق تلك المرونة عند وضع الخطط لحملته، وأن تكون خططه بشكل يمكنه من أن يعدل سريعًا حركات قواته حين تضطره الظروف غير المنظورة وغير المتوقعة.

(١) التعاون: هو توحيد جهود كل الأسلحة، والقطعات العسكرية؛ لبلوغ الغرض المنشود، وهو النصر في الحرب.

لقد أمن الرسول ﷺ مبدأ: «**التعاون**» في غزواته كلها، وذلك بإعطاء كل سلاح [1] واجبًا يناسبه، كما أن تعاون «**الصفوف**» فيما بينها تمَّ في الوقت والمكان الملائمين، وبذلك أمَّن تسهيل مهمة الجميع للوصول إلى النجاح المطلوب.

كما أمَّن تعاون المسلمين من مختلف القبائل بشكل لم يسبق له مثيل في شبه الجزيرة العربية من قبل: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾[آل عمران: ١٠٣].

**تاسعًا: إدامة المعنويات:**

يمكن تعريف المعنويات: بأنها الصفات التي تميز الجيش المدرب عن العصابات، بها تظهر الطاعة القائمة على الحب، وتبرز الشجاعة في القتال والصبر على تحمل المشاق، وتبرز كل المزايا التي تجعل الجندي مطيعًا باسلًا صبورًا.

ولست بحاجة إلى التحدث عن طاعة جنود رسول اللَّه ﷺ له، تلك الطاعة القائمة على الحب المتبادل والثقة المتبادلة، ولا عن شجاعتهم وجلدهم في القتال وصبرهم على تحمل المشاق بعزم لا يعرف التخاذل والانهزام.

حسبي أن أذكِّر فقط بقصة الحدثَين الصغيرين اللذين قتلا أبا جَهْلٍ في معركة «**بدر**» الكبرى والتي رواها عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه وحسبي أن أُذكِّر ـ أيضًا ـ بقصة نسيبة الخزرجية «**أم عمارة**» في معركة «**أُحد**»، وهاتان القصتان معروفتان ورد ذكرهما في محلهما من هذا الكتاب.

فإذا كانت معنويات الفتيان الأحداث من المسلمين والنساء من المسلمات بهذا المستوى الرفيع، فكيف تكون معنويات الرجال؟!

---

(١) السلاح: هو الصنف الذي كان يستعمل في قسم من الجيوش العربية سابقًا، فيقال: صنف المشاة، وصنف المدفعية... إلخ. وبعد توحيد المصطلحات العسكرية في الجيوش العربية من لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية الذي بدأت عملها في القاهرة من يوم (١٩٦٨/٥/٣٠)، أصبح يستعمل تعبير: سلاح، بدلًا عن: صنف، فيقال: سلاح المشاة، وسلاح المدفعية... إلخ.

إن مما يديم المعنويات هو وجود أهداف يؤمن بها الجنود بصورة خاصة والشعب بصورة عامة، وقد كانت أهداف المسلمين جميعًا حينذاك هي إعلاء كلمة الله، والعمل على حرية نشر الدعوة الإسلامية بدون تدخل أحد، ونشر لواء العدل والسلام بين الناس كافة، تلك الأهدف التي آمن بها المسلمون إيمانًا عميقًا وجاهدوا في سبيلها بكل ما يمتلكونه من غال ورخيص.

كما أن صفات القيادة الحقة هي التي تخلق المعنويات وتديمها، فإذا كانت الأمة محظوظة تهيأ لها قائد عظيم، حكيم، شجاع يبعث الثقة الحقيقية في الأمة.

ولست أعرف قائدًا لأمة قديمًا أو حديثًا امتلك صفات القيادة الحقة كما امتلكها الرسول ﷺ، إذ كان في صفاته ومزاياه رجلًا يعادل أمة أو هو أمة تعادل رجلًا كما يقولون.

فلا عجب أن يتحلى المسلمون بالمعنويات العالية عندما كانوا ضعفاء يتخطفهم الناس من كل جانب في مكة عقر دارهم، وعندما أصبحوا أقوياء يسيطرون على شبه الجزيرة العربية كلها دون منازع.

**عاشرًا: الأمور الإدارية:**

مهما تكن خطة العمليات دقيقة مرنة معقولة، فلا تؤتي ثمراتها المتوقعة إذا تعذر تنفيذها من الوجهة الإدارية، بل يمكن أن نذهب إلى أبعد من ذلك بالقول: إن كل خطة مرهونة بإمكاناتها الإدارية.

لقد اهتم الرسول ﷺ بالأمور الإدارية كثيرًا في معاركه، فتعاون المسلمون على تزويد المجاهدين بالأرزاق، والماء، والنقلية، والسلاح.

قرن الإسلام دائمًا الجهاد بالأرواح بالجهاد بالمال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [التوبة: ٢٠].

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة: ٢٦١].

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[الحديد: ١٠].

﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾[الصف: ١١].

﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً﴾[النساء: ٩٥].

بل يلاحظ من تلك الآيات الكريمة، أن المال يُقدَّم على الأنفس دائمًا، مما يدل على اهتمام الإسلام بالأمور الإدارية.

ويقول القرآن الكريم عن الخيل: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾[الأنفال: ٦٠].

ويقول: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥﴾[العاديات: ١- ٥].

ويقول القرآن الكريم في الحديد الذي يعمل منه السلاح: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[الحديد: ٢٥].

لقد أنفق المسلمون الأولون أموالهم في سبيل الله: مات الرسول ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاعًا من شعير، وأنفق أبو بكر الصديق رضي الله عنه جميع ماله في سبيل اللّه وكان يوم أسلم من أغنياء قريش المعدودين، فمات متخللًا بعباءته. وأنفق عمر بن الخطاب رضي الله عنه نصف ماله، كما جهز عثمان بن عفان رضي الله عنه جيش العسرة في غزوة «**تبوك**» بالإضافة إلى الأموال الطائلة التي أنفقها على غيرها من الغزوات. أما آل محمد ﷺ فقد روى الحسن عنهم قال: «**خطب رسول اللّه ﷺ** فقال: «**والله، ما أمسى في آل محمد صاع من طعام وإنها لتسعة أبيات**». واللّه ما قالها استقلالًا، ولكن أراد أن تتأسى به أمته!».

لقد أتعب الرسول ﷺ وأصحابه من يريد التأسي بهم من المسلمين بعدهم. لقد ضحوا بكل شيء حتى بأبسط ضروريات الحياة في سبيل اللّه والمصلحة

العامة قبل أربعة عشر قرنًا، فأين منها تضحيات زعماء الشرق والغرب في القرن العشرين، أولئك الذين يتاجرون بالدفاع عن الفقير، والعامل، والفلاح بالظاهر وبالكلام فحسب، على حين يعيشون في الحقيقة مترفين في رخاء عظيم على حساب الفقير، والعامل، والفلاح!!

**٣- مزايا أخرى إضافية:**

أ ـ المساواة:

ساوى الرسول ﷺ نفسه بأصحابه في كل شيء، بل استأثر لنفسه دونهم بالخطر، ومضاعفة الجهد، وتحمل المسئولية والحرمان الشديد.

حمل الحجارة، والتراب، والجريد، واللَّبِن كأي فرد من المسلمين عند بناء المسجد في المدينة المنورة.

وفي مسير الاقتراب إلى «**بدر**» قسم الإبل المتيسِّرة وعددها سبعون بعيرًا بين أصحابه، وكان من نصيبه مع علي بن أبي طالب ومرثد بن أبي مرثد الغنوي ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما ـ بعير يعتقبونه، تمامًا كما يفعل أي فرد من أفراد قواته.

قال شريكا الرسول ـ صلوات اللَّه وتسليمه عليه ـ في البعير: «**نحن نمشي عنك**»، قال: «**ما أنتما بأقوى مني، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما**».

وفي غزوة «**الخندق**» حفر بيده وحمل الأحجار والأتربة على عاتقه. قال البراء بن عازب: «**كان رسول اللَّه ينقل التراب يوم الخندق حتَّى اغبرَّ بطنه**».

لقد وارى التراب جلدة بطنه وكان كثير الشعر.

وشارك أصحابه في طعامهم وشرابهم ولباسهم، بل آثرهم بالنفيس من كل ذلك واستأثر دونهم بالخشن.

وتحمل أخطر المواقف بنفسه، ولم يترك أصحابه يتعرضون للخطر وحدهم.

لقد سخر نفسه لخدمة أصحابه، بينما سخر القادة قواتهم لخدمتهم.

**ب ـ الاستشارة:**

كان الرسول ﷺ يستشير أصحابه في كل المواقف التي لها أثر في مصالح المسلمين عسكرية وغير عسكرية.

استشارهم في غزواته كافة عدا غزوة «**الحديبية**»، وأخذ بآرائهم حتى ولو كانت تخالف رأيه؛ كما حدث ـ فعلًا ـ في غزوة «**أحد**»، فقد كان يرى البقاء في المدينة المنورة بينما رأى أكثرية أصحابه الخروج.

أما أسباب عدم استشارتهم في غزوة «**الحديبية**»؛ فلأنه ـ كما ذكرنا سابقًا ـ كان يصر على نياته السلمية التي تؤمِّن له الاستقرار الضروري لانتشار الإسلام، وكان لبعد نظره المذهل حقًّا يعرف أن نتائج الصلح ستكون خيرًا شاملًا للدعوة الإسلامية، بينما كان أصحابه يريدون النصر العاجل قبل أوانه.

**ج ـ أساليب جديدة:**

طبق الرسول ﷺ أساليب جديدة في القتال.

طبق أسلوب القتال بـ «**الصفوف**» في «**بدر**»، فتغلب بهذا الأسلوب على قوات قريش التي بلغت ثلاثة أمثال قوته؛ لأنهم قاتلوا بأسلوب «**الكرّ والفرّ**».

وحفر «**الخندق**» في غزوة «**الأحزاب**»، ولم تكن العرب تعرف هذا الأسلوب.

وطبق أسلوب قتال المدن والأحراش في غزوة بني النضير، وبني قريظة، وخيبر، ومن المدهش أن يطبِّق الرسول ﷺ نفس الأسلوب الذي يطبق في الحرب الحديثة في مثل هذا القتال.

واستخدم المنجنيقات والدبابات في غزوة حصار «**الطائف**»، وكان استعمال هذين السلاحين نادرًا عند العرب حينذاك.

وانتخب «**مقرًّا**» له في غزوة «**بدر**»، مراعيًا شروط انتخاب «**المقر**»، وأمَّن حراسته كما يجري في الحرب الحديثة.

وقسم الأعمال وأمَّن السيطرة على إنجازها؛ كما حدث في حفر الخندق.

وقام بالهجوم فجرًا، ذلك الهجوم الذي يحتاج إلى كفاية وتدريب متميزين؛ كما حدث في غزوة بني المصطلق.

وابتكر أسلوب «**الرسائل المكتومة**»، على حين يفاخر الألمان في العصر الحاضر بأنهم أول من ابتكر هذا الأسلوب.

بل إنه طبق الحرب الإجماعية بحذافيرها، فحشد كل القوى المادية والمعنوية للأغراض العسكرية، وذلك ليؤمن حماية الدعوة من أعدائها الكثيرين، بينما لم تعرف هذه الحرب إلا في الحرب العالمية الثانية فقط، واستأثر الألمان بالمفاخرة في ابتكارها.

**٤ـ قيادة مثالية:**

رأينا كيف كان الرسول ﷺ يتحلى بكل صفات القائد المثالي، كما تنص عليها أوثق المصادر العسكرية الحديثة.

ورأينا كيف طبق كل مبادئ الحرب بكل كفاية، ورأينا كيف أنه تحلى بمزايا أخرى لم تنص عليها المصادر العسكرية؛ لاستبعاد المفكرين العسكرين إمكان توفرها في القادة وهم بشر!

ورأينا كيف طبق أساليب جديدة مبتكرة، واستخدم أسلحة جديدة في القتال.

فأي قائد تحلى بكل هذه المزايا، وطبق كل مبادئ الحرب، وابتكر كل هذه الأساليب الحربية؟!

ذلك هو السبب الأول لانتصار المسلمين على أعدئهم، وقديمًا قالوا: «**لم يغلب الرومانُ الغالَ ولكن قيصر**»[1].

ونختم هذه الأسطر القليلة من بطولة رسول اللَّه ﷺ وفروسيته وقيادته بما قال أحمد محرم ـ رحمه اللَّه ـ:

---

(١) الرسول القائد ص (٤٣٣ـ ٤٦٣).

هـذا إمـام الـديـن في أعـلامـهِ ... والـدين معتصـمٌ ببأس إمامِهِ
يـحـمـي حـقـيـقـتـه بـقـوة بـطـشـه ... ويصون بيضته بحد حسامه
شيخُ الجهاد يَوَدُّ كل مجاهدٍ ... لوْ كانَ يُدعى في الوغى بِغُلَامِه
عـالـي الـلـواءِ يقيـمُـهُ بـحـدُودِه ... ويُـبَـيِّنُ المأثـورَ مِـن أحـكـامِـهِ
المصلحون على الزمان سُيوفُه ... وجنـودُه في حـربـه وسَـلامِـه
عَرفوا الجهاد به ومنه تعلَّموا ... ما صحَّ من دستورِه ونظامِهِ
غضبتْ قريشُ أن جفا أصنامَها ... ووفَـى بـعـهـد إلـهـِهِ وذِمَـامِـه
يغزو فوارسُهُ ويقتل جمعَهم ... حتى يدين مرامهم لمرامِه
ويرى المحجَّة كلُّ غاوٍ منهـمُ ... فيكفَّ عن طغيانه وغُرامِهِ
ويثوبُ جاهلهم إلى دين الهدى ... والنورِ من دين العَمَى وظلامه[١]

**❑ رسول اللَّه ﷺ رائد الفتح وباني جيش المسلمين الأول:**

لقد أنشأ رسول اللَّه ﷺ جيش المسلمين الأول، وسهر على رعايته ودرَّبه، وجهَّزه، ونظَّمه، وهيأ له القادة الحُماة القادرين، وأشاع فيه المعنويات العالية بالعقيدة الراسخة، حتى أصبح جيشًا لا يُقهر من قلة ولا بكثرة، حقَّق وحدة قوية، وأنشأ أمة عظيمة، وحمى عقيدة راسخة في حياة قائده ورائده، ومؤسس بنيانه ومشيد أركانه، ومرسِّخ إيمانه بقوة الله، وعزَّته، وإرادته، وهديه.

وبدأ رسول اللَّه ﷺ يخطط للفتح الإسلامي العظيم، فهو الذي رسم الخطة التمهيدية التي حملت جيش المسلمين على فتح أرض الشام.

وكان رسول اللَّه ﷺ إلى جانب تبليغه الدعوة لملوك عصره ككسرى وقيصر وغيرهما، كان قائدًا ماهرًا يقظًا لا يغض الطرف عن أي مظهر عدواني قد يحط من شأن دعوته، أو يعمل على النيل منها، أو يضع العراقيل في طريق انتشارها، فلم يقف ساكنًا أمام استشهاد رسوله الذي بعثه إلى أمير الغساسنة في بصرى، فأرسل في السنة

(١) ديوان مجد الإسلام، لأحمد محرم، ص (١٥٢).

الثامنة الهجرية «٦٢٩م» أحد قادته المقرَّبين إليه، وهو زيد بن حارثة الكلبي على رأس حملة تعدادها ثلاثة آلاف رجل إلى الحدود الشمالية الغربية من حدود بلاد العرب، وهناك عند **«مؤتة»** الواقعة على حدود البلقاء إلى الشرق من الطرف الجنوبي للبحر الميت التقى المسلمون بقوات الروم وحلفائهم الغساسنة.

وكانت سرية زيد إلى **«مؤتة»** غزوة لم تُقَدِّرْ إمبراطورية الروم أهميتها، فهي حرب منظمة كانت لها مهمة جديدة خاصة، جعلت المسلمين يتطلعون جدِيًّا لفتح أرض الشام.

وفي السنة التالية؛ أي: في السنة التاسعة الهجرية «٦٣٠م» قاد النبيﷺ بنفسه غزوة **«تبوك»**، فأظهر قوة المسلمين للروم المتربصين بهم، ثم عاد إلى المدينة المنورة، فكانت تلك الغزوة غزوة استطلاعية، بالإضافة إلى تأثيرها المعنوي في الروم وحلفائهم الغساسنة.

وفي السنة الحادية عشرة الهجرية «٦٣٢م» أعد النبيﷺ سرية بقيادة أسامة بن زيد بن حارثة الكلبي حب رسول اللَّه وابن حبه؛ لمهاجمة الروم.

وعقد النبيﷺ اللواء لأسامة بيده وأمره أن يسير إلى موضع مقتل أبيه زيد، وأن يوطِّئ الخيل تخوم **«البلقاء والداروم»** من أرض فلسطين... عقد اللواء بيده في آخر يوم من صفر ١١هـ، وكان ذلك مع مبدإ شكواهﷺ من مرضه الذي توفي فيه، وخرج الجيش بقيادة أسامة بن زيد إلى ظاهر المدينة فعسكر بالجرف، وفي هذه الأثناء اشتدت وطأة المرض برسول اللَّهﷺ وتوفيﷺ وقد ولى وجوه المسلمين شطر أرض الشام عيَّنها لهم وأهداف واضحة جلية شرحها لهم، وأصدر إليهم أوامر حاسمة جازمه.

وهكذا وقف الرسول القائد ـ عليه الصلاة والسلام ـ بثاقب نظره على أن أشد الأخطار التي يمكن أن تحل بدعوته الإسلامية موطنها أرض الشام؛ حيث الروم وعمالهم الغساسنة، وقد أثبتت حوادث الفتح الإسلامي فيما بعد صدق هذه

الإشارة، فكان الروم أشد المحاربين عنادًا.

ولقد بشَّر النبي ﷺ المسلمين بفتح بلاد الشام ملك كسرى.

فعن البراء بن عازب ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قال: «لما كان حين أمرنا رسول اللَّه ﷺ بحفر الخندق، عرضت لنا في بعض الخندق صخرة لا تأخذها المعاول، فاشتكينا إلى رسول اللَّه ﷺ، فجاءنا، فأخذ المعول، فقال: «**بسم الله**»، فضربها ضربة فكسر ثلثها، وقال: «**اللَّه أكبر، أُعطيت مفاتيح الشام، والله، إني لأبصر قصورها الحمر الساعة**»، ثم ضرب الثانية، فقطع الثلث الآخر، فقال: «**اللَّه أكبر، أُعطيت مفاتيح فارس، والله، إني لأبصر قصر المدائن أبيض**»، ثم ضرب الثالثة، وقال: «**بسم الله**» فقطع بقية الحجر[(١)]، فقال: «**اللَّه أكبر، أعطيت مفاتيح اليمن، والله، إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا الساعة**»[(٢)].

ولله در أحمد محرم حين يقول عن هذا الحديث:

| | |
|---|---|
| سلمان دعها كُدْيَةً تُوهي القُوَى | وتـودُّ كـلَّ مُـحـدد مـثـلومًا[(٣)] |
| اضرب رسول اللَّه كم من صخرةٍ | لم تـألـهـا صـدعًا ولا تحطيـمًا |
| من ليس يبلغ من جبابرة القوى | ما أنـت بـالـغـه، فـليس ملومًا |
| بـشِّـر جـنـودك بـالـفـتـوح ثـلاثـةً | تدع العزيز من العروش مضيما[(٤)] |
| وصِـفِ المدائـن والـقـصـور لمعشـرٍ | مثلـتـهـا صـورًا لـهـم ورسـومـا |
| أبـصـرتـهـا في نـور ربك ما رأتْ | عيناك آفـاقـا لـهـا وتـخـومـا[(٥)] |
| ما زلـت تُحدِث كل أمرٍ مُعجِزٍ | لـولا الـنـبـوة لم يـكـن مـفـهـومـا |

(١) لشدة بأسه وقوته.

(٢) حسن: أخرجه أحمد في «المسند» (٤/٣٠٣)، والنسائي (٦/٤٣، ٤٤)، والبيهقي في «الدلائل» (٣/٤١٧ـ ٤١٨)، ولقد حسن الحافظ ابن حجر إسناد الحديث في «الفتح» (٧/٣٩٧).

(٣) الثلم: كسر في حدِّ المعول هنا.

(٤) المضيم: المقهور.

(٥) التخوم: الحدود.

لـلــه أســرار تــريــك جــلالــه إن شـاء فـضَّ كتـابـها المختوما

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله استقبل بي الشام، وولَّى ظهري اليمن، وقال لي: يا محمد، إني جعلتُ لك ما تجاهك غنيمة ورزقًا، وما خلف ظهرك مددًا، ولا يزال الله يزيد ـ أو قال: يعز ـ الإسلام وأهله، ويُنقِص الشرك وأهله، حتى يسير الراكب بين كذا ـ يعني البحرين ـ لا يخشى جوْرًا، وليبلغنَّ هذا الأمر مبلغ الليل**»[(١)].

بأبي وأمي نبي الملحمة الذي قال: «**عصبة من المسلمين يفتحون البيت الأبيض بيت كسرى**»[(٢)].

وبأبي وأمي رسول الله ﷺ الذي قال مشجعًا أمته على فتح بلاد قيصر، فقال: «**أول جيش من أمتي يركبون البحر، وأول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم**»[(٣)].

بأبي وأمي نبي الملاحم الذي سيبلغ ملكه بالجهاد ما زوى الله له من الدنيا، وما بلغ الليل والنهار. قال ﷺ: «**عصابتان من أمتي أحرزهما الله من النار؛ عصابة تغزو الهند، وعصابة تكون مع عيسى ابن مريم**»[(٤)].

---

(١) صحيح: رواه أبو نعيم في «الحلية» (٦/١٠٧، ١٠٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨/١٧٠، ١٧١) رقم (٧٦٤٢). وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٣٥)، «وصحيح الجامع» رقم (١٧١٢).

(٢) صحيح: رواه أحمد ومسلم عن جابر بن سمرة.

(٣) رواه البخاري عن أم حرام بنت ملحان.

(٤) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، والنسائي، والضياء في «المختارة» عن ثوبان، وصححه.
قال المناوي في فيض القدير (٤/٣١٧):
من حديث محمد بن الوليد الزبيدي عن الجراح بن مليح عن ثوبان، ورواه عنه الديلمي والطبراني، وقال: لا يُروى عن ثوبان إلا بهذا الإسناد، تفرد به الزبيدي ا. هـ.
والجراح: قال الذهبي في «الضعفاء» عن الدارقطني: ليس بشيء.
وصححه السيوطي في «الجامع الصغير»، والألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٩٣٤)، و«صحيح الجامع» رقم (٤٠١٢).

فصلوات ربي وسلامه على نبينا الشهيد ـ كما قال الذهبي ـ الذي نُصر بالرعب.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**بُعثت بجوامع الكلم ونُصِرت بالرعب...**» (١).

وفي حديث جابر عند البخاري: «**ونُصِرت بالرعب مسيرة شهر**».

بأبي وأمي رسول اللَّه ﷺ الذي ما ترك وخلَّف غير سلاحه وبغلته.

عن عمرو بن الحارث رضي الله عنه قال: «ما ترك النبي ﷺ إلا سلاحه، وبغلةً بيضاء، وأرضًا بخيبر جعلها صدقة» (٢).

**ونختم بهذا الحديث:**

عن جابر بن عبداللَّه أنه غزا مع رسول اللَّه ﷺ قبل نجد، فلما قفل رسول اللَّه ﷺ قفل معه، فأدركتهم القافلة في وادٍ كثير العِضاه، فنزل رسول اللَّه ﷺ تحت شجرة وعلق بها سيفه، ونمنا نومة، فإذا رسول اللَّه ﷺ يدعونا، وإذا عنده أعرابي، فقال: «**إن هذا اخترط على سيفي وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يديه صلتا، فقال: مَن يمنعك مني؟ فقلت:**«**اللَّه ـ ثلاثة ـ**». ولم يعاقبه وجلس (٣).

صلوات ربي على بطل الأبطال، ورجل الرجال، وأشجع الناس، قائد السادات، وسيد القادات.

**❑ رسول اللَّه ﷺ أول واضع لأسس الحرب الإجماعية لأول مرة في التاريخ:**

الحرب الإجماعية، أو الحرب الاعتصابية، أو الحرب الشاملة مصطلحات عسكرية معروفة، تدلُّ على معنًى عسكريٍّ واحد.

---

(١) رواه البخاري (٢٩٧٧)، كتاب الجهاد، باب قول النبي ﷺ «نصرت بالرعب مسيرة شهر».

(٢) رواه البخاري (٢٩١٢)، كتاب الجهاد ـ باب من لم ير كسر السلاح عند الموت.

(٣) رواه البخاري (٢٩١٠)، كتاب الجهاد، باب من علق سيفه بالشجر في السفر.

العضاه: هي كل شجرة ذات شوك.

صلتا: بفتح الصاد وضمها؛ أي: مسلولًا.

ومعنى الحرب الإجماعية؛ هو حشد الطاقات المادية، والطاقات المعنوية كافة للأمة، لا للجيش النظامي وحده، أو للقوات العسكرية النظامية وحدها من أجل المجهود الحربي.

وهذا يعني ـ أيضًا ـ أن الطاقات المادية كلها ـ بشرية وطبيعية، سلاحًا وعتادًا، ومعامل، ومزارع، وحقولًا، ومستشفيات، ومخازن ـ التي تفيد المجهود الحربي قليلًا أو كثيرًا تُحشد من أجل إحراز النصر.

وهذا يعني ـ أيضًا ـ أن الطاقات المعنوية كلها ـ التوجيه المعنوي، خطباء المساجد، رجال الدين، وأجهزة الإعلام المكتوبة، والمسموعة، والمرئية حربًا نفسية، مكافحة للتجسس وغيرها ـ تحشد كلها للمجهود الحربي.

وحين صدر كتاب «**الأمة في الحرب**» الذي ألفه المشير «**لودندروف**» رئيس هيئة أركان حرب المشير «**هند نبرغ**» أبرز قادة ألمانيا القيصرية في الحرب العالمية الأولى «١٩١٤ـ١٩١٨م» وأصدره بعد الحرب العالمية الأولى، ظنَّ الناس أن «**لودندروف**» أول من وضع أسس الحرب الإجماعية في التاريخ العسكري، وسرى هذا الظن في الشرق والغرب قضية مسلمة بها.

وكان من الذين صدقوا هذا الظن الآثم العسكريون العرب والمسلمون، فدرسوا هذا الكتاب القيم ودرَّسوه في المدارس، والمعاهد، والكليات والجامعات العسكرية، وفي جامعات الدراسات العسكرية العليا.

والقول بهذا لا يمتُّ إلى الحقيقة التاريخية بصلة، ويدخل في عداد الجهل المطبق بالواقع التاريخي، أو في التزييف المتعمد لحقائق التاريخ.

إن الإسلام هو الذي وضع أسس الحرب الإجماعية بنص القرآن الكريم، وحديث رسول الله ﷺ، والمسلمون هم الذين طبقوا هذه الحرب عمليًا في عهد الرسول القائد ﷺ، وفي أيام الفتح الإسلامي العظيم في القرن الأول الهجري.

ميلادنا أقدم من ميلادهم      أمجادنا أنصع من أمجادهم

ولم تطبق الحرب الإجماعية في غير دول الإسلام إلا خلال الحرب العالمية الثانية «١٩٣٩ـ ١٩٤٥م» تطبيقًا كاملًا، كما جرى في بعض دول الحلفاء؛ كبريطانيا والاتحاد السوفياتي السابق، وبعض دول المحور؛ كألمانيا الهتلرية واليابان، كما طُبقت هذه الحرب تطبيقًا جزئيًا في إيطاليا، وفرنسا، والولايات المتحدة الأمريكية.

❑ **انظر إلى سبق الإسلام في الحرب الإجماعية.**

قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [التوبة: ٤١].

فمن يبقى من الأمة إذا شهد الحربَ الشبابُ والشيوخ، والركبان، والمشاة، والفقراء، والأغنياء، والأصحاء والمرضى، والمعيلون، وغير المعيلين؟!

ومعنى ذلك، أن النفير العام للجهاد الذي يطلق عليه الفقهاء مصطلح «**فرض عين**»، ويُطلق عليه العسكريون المحدثون: «**النفير العام**» يشمل جميع القادرين على حمل السلاح من المسلمين.

فكل قادر على حمل السلاح يجاهد بنفسه، وكل قادر على الجهاد بالمال يجاهد بماله، وكل قادر على الجهاد بماله ونفسه يجاهد بهما معًا.

وقد وردت في القرآن الكثير من الآيات في الجهاد بالمال والنفس، وفي كل آية من تلك الآيات تسبق كلمة «**الأموال**» كلمة «**الأنفس**»؛ لأن المال عصب الحرب.

أما الأحاديث في الحرب الإجماعية الإسلامية فكثيرة جدًّا.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**جاهدوا المشركين بأموالكم، وأنفسكم، وألسنتكم**»[1].

والجهاد باللسان هو الحث على الجهاد، وهو الحرب الدعائية، أو الحرب

(١) حديث صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن حبان في «صحيحه»، والحاكم في «المستدرك».

الإعلامية، وقال ﷺ: «**الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة**»(١) حثًّا على إعداد الخيل للجهاد، وهو جزء من إعداد القوة.

وقال رسول اللَّه ﷺ: «**إن اللَّه يُدخِل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة: صانعه يحتسب في صنعه الخير، والرامي به، ومُنبِّله... وارموا واركبوا، وإن ترموا أحب إليَّ من أن تركبوا، ومن ترك الرمي بعدما علمه رغبة عنه، فإنها نعمة تركها، أو قال: نعمة كفرها**»(٢)، حثًّا على التسليح، والتدريب واستمرارية التدريب.

﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾

## ❑ التطبيق العملي للحرب الإجماعية في الإسلام كأروع ما تكون الأمثلة:

كان التطبيق العملي للحرب الإجماعية في الإسلام على عهد النبي ﷺ في قرنه الذي كان خير القرون رائعًا حقًّا.

فقد شهد القتالَ في هذا القرن شبابٌ صغار السن، فقد ردَّ النبي ﷺ أسامة بن زيد بن حارثة يوم أحد؛ لصغر سنه، وأجاز يومئذ سمرة بن جندب الفزاري، ورافع بن خديج من بني حارثة ولهما خمسة عشر سنة، ورد أسامة، وعبداللَّه بن عمر، وغيرهما؛ لصغر سنهم، ولكنه عاد فأجازهم عام «**الخندق**» بعد ذلك بسنة، وكان لعبداللَّه بن عمر يوم «**أحد**» أربعة عشر عامًا.

وشهد عُمير بن أبي وقاص غزوة بدر وهو أخو سعد بن أبي وقاص.

قال سعد: «رأيت أخي عميرًا قبل أن يعرض رسول اللَّه ﷺ للخروج إلى بدر يتوارى! فقلت: ما لك يا أخي؟! فقال: إني أخاف أن يراني رسول اللَّه ﷺ فيستصغرني، ويردني، وأنا أحب الخروج لعل اللَّه يرزقني الشهادة. قال: فعرض رسول اللَّه ﷺ فاستصغره، فقال: ارجع! فبكى عمير! فأجازه رسول اللَّه ﷺ، فكنتُ

---

(١) رواه البخاري، ومسلم، والترمذي، وأحمد، والنسائي، وابن ماجه، والطبراني.

(٢) رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود والترمذي، والنسائي، وأحمد.

أعقد حمائل سيفه من صغره»، وقد استشهد يوم بدر وهو ابن ست عشرة سنة(١).

وشهد القتالَ في هذا القرن كبارٌ وشيوخ، وأصحاب عاهات مستدامة؛ كالعرج، وضعف البصر، والشيخوخة.

فقد خرج النبي ﷺ إلى «**أحد**» فرفع حِسْل بن جابر والد حذيفة بن اليمان وثابت بن وَقْش إلى الآكام مع النساء والصبيان، وكانا شيخين كبيرين، فقال أحدهما للآخر: «**لا أبا لك! ما ننتظر؟ إنما نحن هامة(٢) اليوم أو غد**» فلحقا بالمسلمين ليرزقا الشهادة، فلما دخلا في الناس قتل المشركون ثابت بن وقش، والتقت أسياف المسلمين على حِسْل والد حذيفة بن اليمان، فنادى حذيفة: «**أبي..أبي**» فقتلوه وهم لا يعرفونه، فقال حذيفة: «**يغفر اللَّه لكم**» وتصدق بديته على المسلمين(٣).

وقُتل عمار بن ياسر يوم صفين مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان عمره يومئذ أربعًا وتسعين سنة، وقيل: ثلاث وتسعون سنة، وقيل: إحدى وتسعون سنة(٤).

وعن صفوان بن عمرو أنه قال: «**كنتُ واليًا على «حمص»**، فلقيت شيخًا كبيرًا قد سقط حاجباه من أهل دمشق على راحلته يريد الغزو، فقلت: يا عم! لقد أعذر اللَّه إليك، فرفع حاجبيه وقال: يا ابن أخي! استنفرنا اللَّه خفافًا وثقالًا، ألا إنه من يحبه اللَّه يبتله»(٥).

وخرج سعيد بن المسيب إلى الغزو وقد ذهبت إحدى عينيه، فقيل له: إنك عليل صاحب ضرر، فقال: «**استنفرنا اللَّه الخفيف والثقيل، فإن لم يمكني الحرب كثَّرت السواد وحفظت المتاع**»(٦).

---

(١) طبقات ابن سعد (١٤٩/٢)، وأُسْد الغابة (١٤٨/٤).

(٢) هامة: جثة هامدة.

(٣) فتح الباري (٩٩/٧)، والإصابة (٢٠٤/١).

(٤) أسد الغابة (٤٧/٤).

(٥) تفسير الكشاف (٣٤/٢).

(٦) المصدر السابق (٣٤/٢).

وشهد القتال في هذا القرن نساء ـ أيضًا ـ، قاتلن في صفوف المسلمين، ونهضن بواجبات إدارية في الميدان لا تقل أهمية عن الواجبات القتالية، فقد شهدت نسيبة بنت كعب المازنية الأنصارية غزوة أحد مع النبي ﷺ قالت نسيبة: «خرجت يوم أحد ومعي سقاء وفيه ماء، فانتهينا إلى رسول اللَّه ﷺ وهو في أصحابه، والدولة والريح للمسلمين، فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول اللَّه ﷺ فكنت أباشر القتال، وأذبُّ عنهم بالسيف، وأرمي بالقوس حتى خلصت الجراح إليَّ»، وكان على عاتقها جرح أجوف له غور[(١)].

وشهدت نسيبة معركة اليمامة مع خالد بن الوليد، وعاهدت اللَّه أن تموت دون مسيلمة أو تُقتَل، فقاتلت حتى قُطِعت يدها، وجُرِحت اثنا عشر جرحًا[(٢)].

وركبت أم حرام بنت ملحان زوج عبادة بن الصامت البحر مع زوجها سنة سبع وعشرين الهجرية في غزوة قبرص بقيادة معاوية بن أبي سفيان في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه، فلما وصلت إلى أرض الجزيرة قُرِّبت لها بغلة، فركبتها، فصرعتها فماتت[(٣)].

وركبت في تلك الغزوة ـ أيضًا ـ زوج معاوية ـ فاختة بنت قرظة من بني نوفل بن عبد مناف ـ وقيل: كنود بنت قرظة ـ البحر مع زوجها[(٤)].

وأراد حبيب بن مسلمة الفهري أن يبيِّت «**المُوْرِيان**»[(٥)]، فسمعته امرأته أم عبداللَّه

---

(١) الإصابة (١٩٨/٨، ١٩٩).

(٢) المصدر السابق.

(٣) الإصابة (٢٢٣/٨)، وفتح الباري (٥٧/٦).

(٤) الإصابة (١٥٤/٨)؛ وهو الأصح؛ لأنه ورد في «الصحيح». وانظر: ركوب كنود البحر في «الإصابة» (١٥٤/٨، ٢٢٣).

(٥) الموريان: صاحب أَرْمنياقس «البلاذري» (٢٧٣)، رجل من أرمنياقس (٢٧٧)، بطريق أرمنياقس «البلاذري» (٢٧٨)، والبطريق رتبة عسكرية تعادل رتبة اللواء في الجيوش العربية الحديثة، ومنصب قائد فرقة فيها. والموريان: هو حاكم أرمينية؛ كما جاء في «معجم البلدان» (٢٥٣/١ـ ٢٥٦).

بنت يزيد الكلْبية يذكر ذلك، فقالت له: «**وأين موعدك؟**»، فقال: «**سُرادق**» الموريان «**أو الجنة**»، ثم بيتهم، فقتل من أشرف له، وأتى السرادق، فوجد امرأته قد سبقت[1].

وفي صحيح البخاري: باب جهاد الناس، وباب غزو المرأة في البحر، وباب حمل الرجل امرأته في الغزو دون بعض نسائه، وباب غزو النساء وقتالهن مع الرجال، وباب حمل النساء القراب إلى الناس في الغزو، وباب مداواة النساء الجرحى في الغزو، وباب ردِّ النساء الجرحى والقتلى[2].

## ❏ التطبيق العملي للحرب الإجماعية الإسلامية بالأموال.

حث الإسلام على الإنفاق في سبيل اللَّه وقرن بين الجهاد بالنفس والجهاد بالمال، فقال - تعالى - ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [التوبة: ٢٠]، وقال - تعالى - ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة: ٢٦١]

وقال - تعالى - ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾ [الحديد: ١٠]، وقال - تعالى - ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ﴾ [النساء: ٩٥].

وجاهد أغنياء المسلمين بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، وجهزوا إخوانهم المجاهدين بما يحتاجون إليه من سلاح، ودواب، وأرزاق، وخلفوا المجاهدين من إخوانهم بالخير في عوائلهم وذويهم، وأنفقوا عليهم كما ينفقون على من يعولون من عوائلهم وذويهم، وواسوهم وسهروا على مصالحهم.

كانت غنائم «**حنين**» أربعة وعشرين ألف بعير، وأربعين ألف شاة، وأربعة آلاف

---

(١) تاريخ الطبري (٤/٢٤٨)، والبلاذري (٢٧٨).

(٢) انظر: «فتح الباري» (٦/٥٨ـ ٦٠).

أوقية من الفضة[١].

فهل أبقى رسول اللَّه ﷺ لنفسه ولأهله شيئًا من هذا المال، أو من غيره من الأموال؟ بل هل أبقى لنفسه ولأهله شيئًا من المال الخاص؟

إنه لمن يفكر أبدًا في نفسه، كما لم يفكرٌ أبدًا في أهله، فعاش فقيرًا، ومات فقيرًا، وأنفق كل ما يملك في سبيل الله.

وأنفق أبو بكر رضي الله عنه جميع ماله، وكان له أربعون ألفًا أنفقها كلها على رسول اللَّه ﷺ وفي سبيل الله، وقد أعتق سبعة كانوا يعذبون في اللَّه منهم بلال بن رباح[٢].

وأنفق عمر بن الخطاب رضي الله عنه نصف ماله في سبيل الله.

وأنفق عثمان بن عفان أموالًا طائلة: جهز جيش العسرة[٣] بتسع مئة وخمسين بعيرًا، وأتم الألف بخمسين فرسًا[٤]، ولما قدم المهاجرون المدينة وكان لرجل من بني عفار عين يُقَال لها: «رومة»، وكان يبيع القربة منها بمدٍّ، فاشتراها عثمان بخمس وثلاثين ألف درهم وجعلها للمسلمين[٥].

وكان للزبير بن العوام رضي الله عنه ألف مملوك يؤدون إليه الخراج، فما كان يُدْخِل منها بيته درهمًا واحدًا، وكان يتصدق بذلك كله، وباع دارًا له بست مئة ألف، فقيل له: يا أبا عبدالله، غُبِنْتَ! فقال: **«كلا! واللَّه لتعلمنَّ، لم أغبن... وهي في سبيل الله»**[٦].

وباع عبدالرحمن بن عوف أرضًا من عثمان بن عفان - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - بأربعين ألف دينار، فقسم ذلك المال في بني زهرة، وأمهات المؤمنين، وفقراء المسلمين، وتصدق على عهد رسول اللَّه ﷺ بشطر ماله أربعة آلاف، ثم تصدق بأربعين ألف

---

(١) سيرة ابن هشام (١٣٨/٤، ١٣٩).
(٢) الرياض النضرة، للمحب الطبري (١١٦/١).
(٣) جيش العسرة: جيش غزة تبوك في السنة التاسعة من الهجرة.
(٤) الرياض النضرة (١١٨/٢).
(٥) الرياض النضرة (١٢٢/٢).
(٦) الرياض النضرة (٣٦٤/٢).

دينار، ثم حمل على خمس مئة فرس في سبيل الله، وقد وردت له قافلة من تجارة الشام فحملها إلى رسول اللَّه ﷺ[١].

وتصدَّق سعد بن أبي وقاص بثلث ماله على عهد رسول اللَّه ﷺ[٢]، وحين سار المسلمون لفتح الشام خرج أبو بكر رضي الله عنه يودع المجاهدين، فبصر بخباء عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه يضم ثمانية أقواس، ورماحًا، وعدة ظاهرة، فسلم عليه أبو بكر، وجزاه خيرًا، وعرض عليه المعونة، فقال: لا حاجة لي فيها، معي ألفا دينار، فدعا له بخير»[٣].

ولما مات خالد بن الوليد رضي الله عنه، لم يترك إلا سلاحه، وفرسه، وغلامه[٤]، وهو القائد الفاتح الذي خاض خلال اثنتي عشرة سنة إحدى وأربعين معركة في اليمن، والحجاز، ونجد، والعراق، والشام لم ترتد له راية أبدًا، وما تركه حبسه في سبيل الله[٥].

قال رسول اللَّه ﷺ **«أما خالد فقد احتبس أدراعه في سبيل الله»**[٦].

ولما قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشام تلقاه أمراء الأجناد وعظماء أهل الأرض، فقال عمر: أين أخي؟ فقالوا: مَن؟ فقال: أبو عبيدة، قالوا: يأتيك الآن. فجاء أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه القائد العام في أرض الشام، والرجل الثاني بعد عمر أمير المؤمنين، علىناقة مخطومة بحبل فسلم عليه، فقال عمر للناس: انصرفوا عنا! وسار عمر مع أبي عبيدة حتى أتى منزله عليه، فلم ير في بيته إلا سيفه وترسه، فقال عمر: **«لو اتخذت متاعًا ـ أو قال: شيئًا»**، فقال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين! إن هذا سيبلغنا المقيل،

---

(١) الرياض النضرة (٢/٣٨٥).

(٢) الرياض النضرة (٢/٤٠٦).

(٣) أُسْدُ الغابة (٤/٦).

(٤) طبقات ابن سعد (٧/٣٩٨).

(٥) الإصابة (٢/١٠٠).

(٦) أخرجه البخاري في الجهاد والسير، باب ما قيل في درع النبي ﷺ، وهو طرف من حديث لأبي هريرة أخرجه البخاري في كتاب الزكاة.

فقال عمر: غيرتنا الدنيا كلنا غيرك يا أبا عبيدة[١].

وكان عُمير بن سعد الأنصاري على حِمص لعمر بن الخطاب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -، فكتب عمر إلى أهل حمص: «**اكتبوا لي فقراءكم**»، فكتبوا إليه أسماء فقرائهم، وذكروا فيهم عمير بن سعد، فلما قرأ عمر اسمه، قال: «**من عُميْر بن سعد!!**» فقالوا: أميرنا! فقال: «**أو فقيرٌ هو!!**» فقالوا: ليس أهل بيت أفقر منه! فقال عمر: «**فأين عطاؤه**» فقالوا: يخرجه كله لا يُمسك منه شيئًا!! فوجه إليه عمر بمئة دينار، فأخرجها كلها للفقراء، فقالت له امرأته: «**لو كنت حبست لنا منها دينارًا واحدًا، فقال لها: لو ذكرتني فعلت**».

## ❑ الحرب الإجماعية الإسلامية والحرب الإجماعية الحديثة

وحّد رسول اللَّه ﷺ لأول مرة في التاريخ شبه الجزيرة العربية تحت لواء الإسلام، وامتد الفتح الإسلامي العظيم بعد التحاق النبي ﷺ بالرفيق الأعلى خلال تسعين سنة «١١ - ١٠٠هـ» حتى شمل دولًا كثيرة لا تغرب عنها الشمس، هي أوسع من أي مملكة في التاريخ القديم والحديث.

ولكن شتان بين الحرب الإجماعية الإسلامية وبين الحرب الإجماعية الحديثة التي طبقتها الدول الحديثة في القرن العشرين الميلادي.

الحرب الإجماعية في الإسلام متفوقة فواقًا كاسحًا على الحرب الإجماعية الحديثة كمًّا ونوعًا.

أما تفوقها من ناحية «**الكم**»، فإن قاعدة النفير العام في الحرب الإجماعية الحديثة تنص على حشد عشرة بالمئة فقط من تعداد السكان للحرب، إذ تبدأ الجندية من سن ثمانية عشر عامًا غالبًا، وتنتهي خدمة الاحتياط في سن تسع وثلاثين سنة للرجل وأربع وثلاثين سنة للمرأة. أما المسلمون في حربهم الإجماعية، فقد استطاعوا حشد أربعين بالمئة من تعداد نفوسهم، إذ تبدأ الجندية من سن السادسة عشر أو الخامسة

---

(١) الإصابة (١٢/٤)، وأُسْد الغابة (٨٦/٣).

عشر عامًا، وتشمل كل قادر على الجهاد بماله، أو نفسه، أو بهما معًا، ولا تنتهي في سن معينة، ويبقى المسلم مجاهدًا ما دام قادرًا على حمل السلاح.

وكل قادر على حمل السلاح من المسلمين جندي أو قائد في جيش المسلمين، ولا أعلم مسلمًا حقًّا تخلف عن الجهاد في عهد النبي ﷺ إلا بأمر منه، أو لعذر مشروع، غير الثلاثة الذين خُلِّفوا عن غزوة تبوك فقاطعهم المسلمون وهجرهم أهلهم، فلما تابوا تاب اللّه عليهم. فإذا قارنا نسبة الطاقة البشرية في الحرب الإجماعية الإسلامية وهي أربعون بالمئة بالنسبة لتعداد المسلمين، بنسبة الطاقة البشرية في الحرب الحديثة وهي عشرة بالمئة وجدنا البون شاسعًا.

أما تفوقها من ناحية النوع فإن المجاهدين الصادقين الذين كانت الشهادة أغلى أمانيهم قدموا الشهداء الذين تساقطوا في ميدان القتال، فبلغت نسبة الشهداء ـ وبخاصة من الصحابة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ـ ثمانين بالمئة، وهي نسبة عالية جدًّا لا مثيل لها في تاريخ الحرب قديمًا وحديثًا.

لقد شهد معركة اليمامة في حروب الردَّة ثلاثة عشر ألفًا بقيادة خالد بن الوليد، وكانت خسائر المسلمين ألفًا ومئتي شهيد؛ أي: عشرة بالمئة من مجموع المجاهدين.

فإذا أحصينا عدد المعارك التي خاضها المسلمون في الغزوات والسرايا على عهد النبي ﷺ وفي أيام الفتح الإسلامي العظيم، وجدنا العدد كثيرًا وعظيمًا.

وكمثال على ذلك، فإن الحارث بن هشام خرج في سبعين من أهل بيته، فرجع منهم أربعة فقط، ومات سائرهم بالطاعون.

وكان شهداء المهاجرين والأنصار أكثر من نصف الشهداء في معركة اليمامة، فقد استشهد منهم من سكان المدينة المنورة يومئذ ثلاث مئة وستون، ومن المهاجرين من غير أهل المدينة ثلاث مئة[1].

---

(١) تاريخ الطبري (٢٩٦/٣، ٢٩٧)، والكامل، لابن الأثير (٣٦٥/٢).

وكان شهداء المهاجرين والأنصار وشهداء التابعين لهم بإحسان - الذين كانوا ثلاث مئة شهيد تابعي - في تلك المعركة ثمانين بالمئة من مجموع الشهداء، إذ يبلغ عدد شهداء المهاجرين، والأنصار، والتابعين تسع مئة وستين شهيدًا من مجموع ألف ومئتي شهيد.

وهذا يدل على أثر الإيمان في تصاعد عدد الشهداء، ويكفي أن نذكر أن عدد الشهداء من القراء - حاملي القرآن وعلماء المسلمين حينذاك - في معركة اليمامة ثلاث مئة شهيد في رواية، وفي رواية أخرى: خمس مئة شهيد؛ أي: أن نسبة الشهداء من القراء في معركة واحدة فقط خمسة وعشرون بالمئة في رواية، وخمسة وأربعون بالمئة في رواية أخرى، وهي نسبة عالية جدًّا. والذين يبحثون في مصادر الصحابة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - يجدون واحدًا من كل خمسة منهم مات على فراشه، وأربعة استشهدوا في ميادين الجهاد، فلا تعجب من سرعة الفتوح المذهلة في القرن الأول الهجري، وثباتها، ودوامها، فقد كان السلف الصالح يحرصون على الموت؛ كحرص الخلف الطالح على الحياة.

فلا يقولن قائل - بعد اليوم -: إن الحرب الإجماعية من صنع الأجانب، فقد شرعها الإسلام يوم كان الإفرنج يغطون في سبات عميق.

❑ وأخيرًا:

«لقد قاتل رسول اللَّه ﷺ قومه وقبيلته، وعادى من عادى الإسلام، وسالم من سالمه، وعرَّض نفسه للموت في ساحات القتال مجاهدًا[1]، وضحَّى بالأقربين من أهله وبنفسه، وتحمَّل المسئوليات الجسام التي تنوء بحملها العصبة أولو القوة من أفذاذ الرجال، واستأثر لنفسه بالأخطار، وآثر رجاله بالأمن.

**يا لله** أيبذل بشر من ذات نفسه، ووقته، وجهده، مثل هذا البذل؟!

---

(١) قاد النبي ﷺ ثمان وعشرين غزوة، وقد نشب القتال بين المسلمين الذين بقيادته، وبين المشركين ويهود في تسع غزوات، بينما رجع المسلمون في تسع عشرة غزوة من تلك الغزوات بدون قتال.

أيضحي إنسان بماله، ونفسه، وأهله، وقومه، مثل هذه التضحية؟!

أيجاهد رجل بما يملك من مالٍ، ونفس، وغال،،ورخيص، مثل هذا الجهاد؟!

أيستطيع أحد أن يتحمل كل هذا البذل، والتضحية، والجهاد؟!

إن المرء حين يستوعب هذه الأمثلة الرائعة المذهلة من بذله، وتضحيته، وجهاده ﷺ يكاد يُصعَق بروعتها، وبهائها، وجلالها، فكيف به لو استوعب كل تفاصيل ما بذله من تضحية وجهادٍ في سبيل الله؟»[1]

**ونختم** بقول رسول اللَّه ﷺ: «**فوالذي نفسي بيده، لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي**[2]**، ولينفذن اللَّه أمره**»[3].

قال ابن حجر في «الفتح» (٣٩٩/٥): «كنى بذلك عن القتل؛ لأن القتيل تنفرد مقدمة عنقه. وقال الداودي: المراد الموت؛ أي: حتى أموت وأبقى متفردًا في قبري. ويحتمل أن يكون أراد أنه يقاتل حتى ينفرد وحده في مقاتلتهم. وقال ابن المنير: لعلَّه ﷺ نبَّه بالأدنى على الأعلى؛ أي: إن لي من القوة باللَّه والحول به ما يقتضي أن أقاتل عن دينه لو انفردت، فكيف لا أقاتل عن دينه مع وجود المسلمين، وكثرتهم، ونفاذ بصائرهم في دين اللَّه ـ تَعَالَى».

* * *

(١) بين العقيدة والقيادة، للواء الركن محمود شيت خطاب ص (١٥٢، ١٥٣) دار الفكر.

(٢) السالفة: هي صفحة العنق.

(٣) جزء من حديث البخاري عن المسور بن مخرمة، ومروان رقم (٢٧٣١، ٢٧٣٢)، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد.

## ٢

## نبي بني إسرائيل وفتى موسى: يوشع بن نون، وعلو قدمه في الجهاد ﷺ، ونبأه العجيب

انظر إلى علو همة فتى موسى، ونبي اللَّه يوشع بن نون عليه السلام، وكم الفرق بينه وبين بني إسرائيل الذين قالوا لنبي اللَّه موسى: ﴿إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾. أما يوشع فكان له الخبر العجيب وأراد جمع همٍّ من يخرج معه من المحاربين على الجهاد فقط، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«غزا نبي من الأنبياء، فقال لقومه: لا يتبعني رجل ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولما يبن بها، ولا أحد بنى بيوتًا ولم يرفع سقوفها، ولا أحد اشترى غنمًا، أو ـ خلفات ـ وهو ينظر ولادها، فغزا، فدنا من القرية صلاة العصر، أو قريبًا من ذلك، فقال للشمس: إنك مأمورة، وأنا مأمور؟ اللهم احبسها علينا، فحُبست حتى فتح اللَّه عليه، فجمع الغنائم، فجاءت النار لتأكلها، فلم تطعمها، فقال: إن فيكم غُلولًا، فليبايعني من كل قبيلة رجل، فلزقت يدُ رجل بيده، فقال: فيكم الغلول، فلتبايعني قبيلتك، فلزقت يد رجلين ـ أو ثلاثة ـ بيده، فقال: فيكم الغُلول، فجاءوا برأس مثل رأس بقرة من الذهب فوضعوها، فجاءت النار فأكلتها، ثم أحلَّ اللَّه لنا الغنائم رأى ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا»**[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: **«ما حُبست الشمس على بشر قط؛ إلَّا على يوشع بن نون ليالي سار إلى بيت المقدس»**[2].

---

(١) أخرجه أحمد، والبخاري، ومسلم.

(٢) إسناده جيد: رواه أحمد (٢/٣٢٥)، والخطيب (٩/٩٩)، وعنه ابن عساكر، وقال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٢٢٦) (٥/٢٦٦، ٢٦٧): «وهذا إسناد جيد على شرط البخاري. وقد أخرجه هو ومسلم من طريق أخرى عن أبي هريرة بنحوه مطوَّلًا».

٣

# نبي الله داود
# من أشجع الرماة وهو أعبد البشر

قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ [البقرة: ٢٥٠، ٢٥١].

قال ابن كثير: لما واجه حزب الإيمان ـ وهم قليل من أصحاب طالوت ـ لعدوهم أصحاب جالوت ـ وهم عدد كثير ـ: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ أي: أنزل علينا صبرًا من عندك، ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ أي: في لقاء الأعداء، وجنبنا الفرار والعجز ﴿وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

قال الله ـ تَعَالَى ـ: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي: غلبوهم وقهروهم بنصر الله لهم، ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾ ذكروا في الإسرائيليات أنه قتله بمقلاع كان في يده، رماه به فأصابه فقتله...، ثم قال: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ أي: لولا الله يدفع عن قوم بآخرين؛ كما دفع عن بني إسرائيل بمقاتلة طالوت وشجاعة داود لهلكوا[1] ا.هـ.

وقال ﷺ: «**كان داود أعبد البشر**»[2]، وهو بهذا يقيم الحجة على الذين فرقوا بين العبادة والجهاد في سبيل الله.

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/٤٢٣، ٤٢٤)، طبعة أولاد الشيخ.

(٢) حسن: رواه الترمذي، والحاكم في «المستدرك» عن أبي الدرداء، وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٧٠٧)، و«صحيح الجامع» (٤٤٥٣).

٤

## طلب نبي اللَّه سليمان الولد للجهاد

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال سليمان بن داود ـ عليهما السلام ـ: «**لأطوفن الليلة على مئة امرأة ـ أو تسع وتسعين ـ كلهن يأتي بفارس يجاهد في سبيل الله، فقال له صاحبه: قل إن شاء الله، فلم يقل: إن شاء الله، فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق. والذي نفس محمد بيده، لو قال: إن شاء الله؛ لجاهدوا في سبيل اللَّه فرسانًا أجمعون**»(١).

فلم يشغله ملكه وسلطانه عن الجهاد في سبيل الله، بل تمنى الولد للجهاد في سبيل اللَّه؛ وليكونوا في ميزان حسناته، وهو حجة على أغنياء الأمة الذين ابتلوا بالترف وهم مع هذا لا يملكون من ملك داود جناح بعوضة، ومالوا عن الطريق القويم، ولم يحدثوا أنفسهم وهم على فرشهم الوثيرة بحديث الغزو الجهاد، فما بين الهمتين أبعد مما بين الثرى والثريا ـ بل معاذ اللَّه من مجرد المقارنة.

**ألم تر أن السيف ينقص قدره ... إذا قيل أن السيف أمضى من العصا**

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجهاد، باب من طلب الولد للجهاد (٢٨١٩)، [٦/٤١ ـ الفتح].